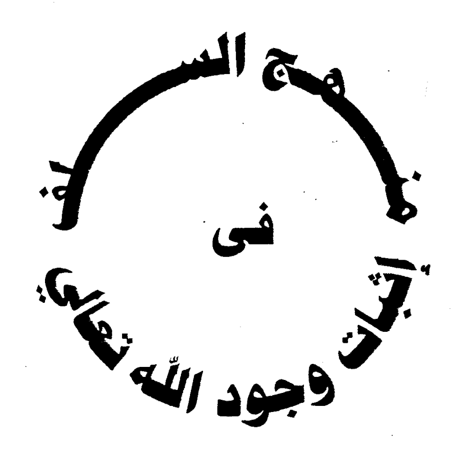
الأستاذ الدكتور
محمد حسيني موسى
محمد الغزالي



تـــأليف

الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ- ١٩٩٨م

اهـــداء

الـــى :....

الـوالـــد الـــذى شـمـل عـطفه كـل الأبـــاء

الخـل الحَـيِىّ بين عـالـــم انتُزِع فـيه الحـياء

الصـديـق الـوفـــى فـــى زمـــان عز فـيه الوفـاء

استاذى وشيخى

الأستـــاذ الـدكـــتور

عوض الله جاد حجازى

رئيس جامعـــة الأزهـــر الأسبـق

أمـد الله فـــى عمـره وبـــارك فـــى اثـره ٠

تلميذك

د/ محمد حسينى موسى محمد الغزالي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، فتح بصائر العارفين الى أنوار معرفته ، وأزاح عنهم حجب التعرف عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك ، أنار بشرعه عقولا كانت مظلمة ، وبعث بوحيه عوالم كانت ميتة وانتشل أقواما كانوا فى الجهالة غارقين .

وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ، فتح الله به قلوبا غلفا ، وابصر به عيونا كانت عميا ، اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الكرام الطاهرين ، الغرا لميامين ، وارض اللهم عن التابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد

الاعتقاد فى الله تعالى أمر فطرى ، والاستدلال لايحتاج الى مجهود عقلى لأنه فى العقل والقلب متى خلصت النوايا ، وسلمت الصدور ، وسكنت الى ربها النفوس القلقة فإن ثبت أمرها على تلك الحال هدأت وسكنت ، وان اضطربت لم تقف على شاطئ تطمئن اليه ، وفاقد الشئ لايعطيه ، ومن ثم نحتاج الى أدلة وأية أدلة .

بيد أن السلف الصالح أقرب الناس عهدا برسول الله ﷺ ، وأكثرهم صحبة له وافضلهم تعاملا معه ، وتعرفا عليه ومع هذا فقد أهملهم أغلب الدارسين ، رغم أن مجهوداتهم كبيرة ، اذ هم حملة الحديث وفيهم كتبة الوحى ، ومنهم البدريون ، وفيهم المجاهدون ، وبينهم المبشرون .

ومع هذا لم تنل مجهوداتهم العناية التى بذلت فى التعرف على فكر غيرهم ، رغم أنهم - السلف الصالح - أكثر توازنا ، وأفكارهم أقرب الى الدقة ، من ثم رأيت ضرورة

التعرف على أدلتهم ، وذكر بعضها ، وبيان وجه الحاجة للتعرف عليهم بعيدا عن الانصياع لاحكام المخالفين ، أو الوقوف عند أفكار المدعين .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل عنده مقبولا ، وأجره مجزولا ، وأن يقع من قارئيه موقع القبول ، وينال منهم الرد الجميل ، والنصح الأمين فقد وقعت فيه هنات وربما كانت زلات ، لكنه جهد الضعيف العاجز والله خير مأمول ، وأعظم مسئول ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

د/ محمد الغزالى

الزقازيق - قسم الجامع

الباب الأول

السلف والمنهج

تمهيد :-

تأبت بعض النفوس على أن لاتخضع إلا لما هو أعلى من امكانيات الجميع ، ولا تميل الا لمن خضع الكل له " وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما"(١) وهم فيما يفعلون أدق واسلم مما يتناوله الآخرون ، وأبعد عن الاختلاف وأدعى إلى الإئتلاف ، بل الأقرب إلى اليقين والأبعد عن الشك .

وهؤلاء نفر ميزوا بما لم يميز به غيرهم وتفردوا عن الجميع بصدق النية وسلامة القلب وصحة العقيدة حتى أنهم بهذه الميزات ليقع لهم تفاضل وتمايز من غير أن تعرف أعدادهم وأحسابهم والأنساب ، وأولئك هم السلف الصالح الذين يلتزمون القرآن الكريم ، وسنة النبى الامين سيدنا محمد ﷺ .

بيد أنهم وان كانوا فى كل دين مع نبيه يظهرون ثم ينتهى امرهم مع نبى زمانهم ، ولشرعه يظاهرون ، إلا أنهم ههنا فى ملة الإسلام باقون أما لماذا ؟

فلأنهم على شرع الله عضوا ، ولكتابه وسنة رسوله ﷺ التزموا ، وسلكوا حتى عرفوا بأنهم المتمسكون بكتاب الله الملتزمون سنة رسوله سيدنا محمد ﷺ فى كل حين ، وتحت أى ظرف.

على أن هؤلاء بهذا المنهج قد فارقوا غيرهم وافترقوا عن قرنائهم وكانت لهم مع ربهم لقاءات متكررة بالروح والعقل والوجدان ، فالله فى عقولهم قائم ، وفى وجدانهم لاشى سواه ، وفى عواطفهم هو الحاكم لها والمسيطر عليها .

من ثم فقد نهضوا لعبادته واستمرؤا نعيم لقائه ، فلم يكونوا فى حاجة لإقامة أدلة على وجوده الا انهم تعرفوا عليه ، ولم يكونوا يوما ما بصدد البحث عنه وان استدلوا عليه كل مافى الأمر أنهم آمنوا به سبحانه وتعالى فطرا ، واعتقدوا فيه تسليما ، وسلموا بوجوده اعتقادا.

(١) سورة طه الآية : ١١١

ومعرفة الله تعالى - وادلة وجوده سبحانه وتعالى - من حيث ذاته تعالى وصفاته من أهم القضايا التى شغلت الفكر الانسانى كله ، ولئن كان لهؤلاء مجهود فكرى فى مثل هذه القضايا التى لاتنال بالعقل وحده ، فقد كان لهم فى اثبات وجوده سبحانه وتعالى مجهود فكرى ، وعقلى ، وروحى وهى فى مجملها سواء منها ماينال بالعقل وحده ، او بالعقل والسمع معا او السمع وحده على كل ناحية يمكن أن ترد .

غير أننا ههنا لن نركز على افراد السلف ، وانما يعنينا المنهج الذى قاموا - فى علاقتهم بربهم - عليه ونهضوا بعقيدتهم يدافعون عنه ويشرحون لغيرهم طريقة التعرف عليه سبحانه وتعالى وكيفية عبادته على النحو المقبول شرعا تلك ناحية.

وناحية ثانية هى أننى سأركز على ذكر الأدلة التى هرع اليها السلف الصالح يستلهمونها معرفة الله - سبحانه وتعالى - ويستحثونها القول فيه بما يثبت لدى الآخرين وجوده تعالىولذا كان البحث قائما على هذين الجانبين من فكر السلف الصالح - رضوان الله عليهم أجمعين .

الأول : منهج السلف الصالح

الثانى : أدلة السلف الصالح على اثبات وجود الله - سبحانه وتعالى .

وغير خاف على دارس أننى ما نهضت لهذا الأمر إلا لإثبات مجهود السلف الصالح - رضوان الله عليهم - على اثبات وجود الله تعالى ، ودفع أدعياء السلف وبيان انهم لامجهود لهم وانهم مجرد منسبين والقول بأن هذا أو ذاك سلفى بينما العكس صحيح ، فحاولت تبرئة القوم من غير السلفين ، ودفع مايمكن دفعه من أقوال المرجفين ، والله أسأل توفيقا وسدادا ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

الفصل الاول

التعريف بالمنهج والسلف

التحليل العنوانى

١- مفهوم المنهج :

وردت مادة : نهج فى اللغة على أنحاء شتى منها :

١- الوضوح والاستبانة : فيقال : نهج الطريق نهجا : وضح واستبان ومنه : نهج أمره : أى بان أمره وكذلك استبانة وسلكه (١).

٢- تتابع النفس من الإعياء ، ومنه قولهم : نهجت الدابة ، ونهج الإنسان نهجا ونهيجا بمعنى : تتابع نفسه من الاعياء أو الحركة .

٣- بمعنى التعب : يقال : أنهجه العمل : بمعنى أتعبه حتى نهج ، ومنه : نهج الربو وهو المرض الذى يصيب الصدر فيجعل نفس صاحبه يتواتر من شدة الحركة .

٤- الطريق الواضح والخطة المرسومة : ومنه قولهم : المنهاج هو الطريق الواضح والخطة المرسومة ، ومنه : منهاج الدراسة ، ومنهاج التعليم ونحوهما ، ويجمع على مناهج مثل مبهج ومباهج ، كما يأتى جمعا لمنهج ومناهج : فيقال فى جمع المنهج مناهج ويقال فى جمع المنهج مناهج (٢) .

مما سبق اتضح لنا أن المنهج يقوم على المعانى الآتية :

أ- الوضوح والبيان .

ب- الاعياء والحركة .

جـ- الخطة المرسومة فى الدراسة والتعليم .

د- الطريق المستقيم الواضح .

---

(١) القاموس المحيط - باب الجيم - فصل النون ومايثالثهما .

(٢) أساس البلاغة - باب النون - فصل الهاء وما يثالثهما وهم الجيم ط الشعب .

ويمكن استخلاص تعريف عام يجمع بين هذه المفردات وهو أن :

المنهج فى اللغة هو : الطريق الواضح البين الذى يقوم على خطة مرسومة ويؤدى الى نتائج مقبولة سواء كانت متوقعة ، أو غير متوقعة .

حتى يدخل من المنهج الاستقرائى ، والمنهج الرياضى ، والمنهد النظرى والاخر العمل ، لانها جميعا مناهج وتؤدى إلى نتائج .

٢- مفهوم السلف فى اللغة :

وردت كلمة السلف فى اللغة العربية والاصطلاح ، بحيث يمكن القول أن السلف لفظ له معنى ومدلول يفيدان تطابق الاسم مع المسمى كشفت عن معاجم العربية من ثم فقد لزم الحديث عن لفظ السلف فى اللغة والاصطلاح ، وبيان الآراء فى المسألة حتى يكون الأمر على بينة وهاك ما أدلت به اللغة حسب ماوقعت عليه وما جاء به الاصطلاح الذى حرصت عليه .

أولا : معنى السلف فى اللغة

وردت مادة : س ل ف فى اللغة حاملة الكثير من المعانى ، وقد جاءت على انحاء شتى ، فمرة تأتى فعلا ، وأخرى اسما ، ومرة تأتى على سبيل المصدر كما تأتى اسم فاعل واسم مفعول أو خلافه ، ويحسن بنا التنويه الى أنها جاءت مفردا كما جاءت جمعا ، وكذلك جاءت على المعنى والحقيقة ترفع الى اعلى والمجاز مما سنوليه العناية على النحو الاتى :-

١- بمعنى المضى والسبق : ومنه قولهم : سلف فلان بمعنى انقضى ومضى ، " فهو سالف وجمعه سلاف وسلف [١] "

---

(١) القاموس المحيط : باب ومايثالثهما .

٢- بمعنى التقدم الزماني : ومنه قولهم : سلف فلان سلوفا وسلف بمعنى تقدم به زمانه (١) .

٣- بمعنى الاقراض ومنه قولهم : أسلف فلان مالا من فلان بمعنى : أقرض منه " وأسلف فلانا مالا : أقرضه إياه ، وتأتى مضعفة ، فيقال : سلف فلانا مالا : أقرضه إياه ، ومنه : استلف : اقترض ." (٢)

٤- بمعنى جانب العنق من الفرس : يقال : سلف الفرس ، وسالفته وهما سالفتان ومعناه : ماتقدم من عنقه ، فكأن السالفة بالنسبة للفرس وهى المتأخرة عن متقدم عليها ومتقدمة على متأخر عنها (٣)

٥- بمعنى الخلاصة : ومنه قولهم : السلاف أفضل الخمر وأخلصها ومن كل شئ خالصة (٤) .

٦- بمعنى زوج أخت امرأة الرجل ، ومنه قولهم : " السلف للرجل : زوج أخت امرأته ، وجمعه : أسلاف ، وتأتى مؤنثة فيقال : السلفة للمرأة : زوجه أخى زوجها ، وهما سلفتان ، وتجمع سلائف .

٧- بمعنى التقدم فى السن أو الفضل ومنه قولهم : السلف كل من تقدمك من آبائك وذوى قرابتك فى السن أو الفضل ، وجمعه : أسلاف .

٨- بمعنى التمسك بالكتاب والسنة : فيقال : " السلفى من يرجع فى الاحكام الشرعية الى الكتاب والسنة ويهدر ماسواهما .

٩- بمعنى اسم آلة : ومنه قولهم : المسلفة آلة تسوى بها الأرض للزراعة وغيرها (٥) ."

---

(١) لسان العرب - مادة - س ل ف

(٣،٢) اساس البلاغة - الامام الزمخشرى - مادة - س ل ف

(٤) مختار الصحاح - باب السين ، فصل اللام وما يثالثهما .

(٥) المعجم الوجيز - باب السين - فصل اللام ومايثالثهما ص٣١٨ .

مما سبق نخلص الى أن كلمة السلف تعنى :

أ- التقدم الزمانى

ب- التقدم فى الفضل

جـ- التمسك بالأحكام الشرعية والتعرف عليها مما هو بالكتاب والسنة النبوية المطهرة.

د- خلاصة الشئ

فاذا جمعت هذه المعانى الأربعة أمكن استخلاص تعريف شامل منها لمفهوم السلف فى اللغة بحيث يمكن القول بأن السلف هم المؤمنون بالله رب العالمين ، مع سيدنا محمد ﷺ المتقدمون فى الفضل والرتبة المتمسكون بالكتاب والسنة المخلصون لله تعالى فى عقيدتهم وأعمالهم وهو تعريف طويل لكنى أراه أو فى من غيره فما تعريف السلف فى الاصطلاح .

الفصل الثانى

السلف بين التحديد الزمانى والاصطلاح العام

تحدثنا عن السلف فى المفهوم اللغوى ، كما عرفنا بالمنهج ، لكن اختلاف جهات التناول للمسألة جعل الامر يحتاج مزيد بحيث ، وبعض اياته ، لأن البعض ركز على مفهوم الفترة الزمنية ، والاخر ركز على مفهوم فكرة السلف ، بينما وقف اخرون عند حدود الالتزام من غيره لذا لزم وضع هذه الامور كل فى موضعه على النحو الذى سيرد ان شاء الله .

- القول الأول : أصحاب التحديد الزمانى :

وهؤلاء يرون أن السلف انما تمثلهم فترة زمانية ، بحيث يقال : ان أهل زمان كذا هم السلف ، أما غيرهم فلا وهى ناحية تاريخية يقول أحد الباحثين : " المراد تاريخيا بالسلف هم الصحابة والتابعون من أهل القرون الثلاثة الأولى ، فأصبح مذهب السلف علما على ما كان عليه هؤلاء ، ومن تبعهم من الأئمة (١) . كالائمة الاربعة وسفيان الثورى وسفيان بن عيينه والليث بن سعد وعبدالله بن مبارك والبخارى ونسيم وسائر اصحاب السنن الذين اتبعوا طريق الاوائل جيلا بعد جيل" (٢) وهذا القول اختلف اصحابه الى فرق .

أ- القائلون بأن السلف هم الذين عاشوا مدة رسول الله ﷺ حتى اذا التحق بالرفيق الأعلى وانتهت اعمارهم انقضى سلفهم وسمى من بعدهم خلق لهم على وجه العموم .

ب- القائلون بأن السلف هم أصحاب المائة الأولى من البعثة المباركة ، وهذا القول ليست له شواهد قوية .

---

(١) الدكتور - مصطفى حلمى - قواعد المنهج السلفى - ص٢٥ ط دار الأنصار سنة ١٣٩٦هـ /١٩٧٦م

(٢) الامام ابن حجر - العقائد السلفية ص١٠ .

جـ- القائلون بأنهم أصحاب المائة الثانية ، بمعنى أنهم استغرقوا المائة الأولى والمائة الثانية أعنى قرنين من بعثة الرسول ﷺ وقد يسمون اصحاب القرنين الاول والثانى الهجرى لانهم حصرواالسلف عندهم فى مفهوم القرنين كناحية تاريخية فقط . وربما استمدوا هذا من فهمهم دخول الصحابى والتابعى فى مفهوم السلف كناحية زمانية .

د- القائلون بأنهم الذين استغرقوا مدة ثلاثة قرون من البقية المباركة ، وربما وصل بعضهم بالمدة الى المائة الخامسة ، ولكل وجهة اعتمد عليها ، وناحية استند اليها ، سواء سلمت له أم لم تسلم . فإنها فى كل الحالات وجهة نظر.

- القول الثانى : أصحاب الاتجاه اللغوى :-

وهم الذين يرون أن السلف من لهم خلف ، فكل من له سلف حتما يكون له خلف ، وكل خلف حتما يكون له سلف ، وتكون المسألة من باب علاقة المتضايقين كالأبوة والبنوة فكل أب هو الذى له ابن ، وكل ابن هو الذى له أب ، سواء كان سواء كان التضايف على سبيل الحقيقة ، أو جاء على سبيل المجاز اللغوى أو العقلى ويكون السلف هو الذى خلى وجاء بعده الخلف ، وهذا التعريف لايدخل معنا .

- القول الثالث : أصحاب الوصف المنهجى :-

هم الذين يرون السلف هم المتمسكون بالكتاب والسنة وتقديمهما على غيرهما فى الاستدلال على العقيدة والاخذ بهما فى الاحكام والسلوك العام ، وهذا الأخير أرجح من غيره وربما وجدت شواهد لغوية وتعضد ، كما أنه الذى يقبل على ناحية فنية .

يقول الامام ابن حجر عن السلف من الأئمة الأعلام الأربعة المشهورين :" سفيان الثورى ، وسفيان بن عيينه ، والليث بن سعد ، وعبد الله بن المبارك

والبخارى ومسلم ، وسائر أصحاب السنن الذين اتبعوا طريق الأوائل جيلا بعد جيل دون من وصف بالبدعة (١) .

" غير أن هذا القول يحتاج الى بيان أن الشيخ ربما قصد بالحصر السالف فى عبارته ايجاد معادلة بين فريق السلف وفريق المبتدعة حتى يتميز هؤلاء عن أولئك وبخاصة أن اهل البدعة حاولوا لإدخال انفسهم فى مفهوم السلف فاراد شيخ الاسلام ابعادهم عنهم ، واثبات أنهمك ليسوا منهم . ، ولم ينظروا إلى أنهم فى غيهم يعمهون لأن مجرد الاشتراك فى بعض المظاهر لايعطى احكاما باندراج الجميع تحت مسمى السلف .

- القول الرابع : أصحاب التحديد العددى :

وهم الذين يرون السلف الصالح امعينين بالأسماء والأفراد والذوات حالة وجود الرسول أﷺ حتى الكأن لفظ السلف عندهم يماثل لفظ الصحبة ، فكل سلفى صاحبى ، وكل صحابى سلفى، وهذا المعنى ربما يفتقد الكثير من الحيدة ، وتعجز الأدلة عن مساندته لأنه خلط بين مفهومين لكل منهما استقلال لغوى كما أن هناك عموما وخصوصا ، فكل صحابى سلفى ، وليس العكس ، وإلا كان حصر على ناحية الاستد لها إذ الصحابة لم تمتد اعمارهم حتى نهاية المائة الأولى فما بالك بما بعدها ، كما أن حصر السلف فى الصحابة معناه انتهاء مفهوم السلف اعتبارا من وفاة آخر صحابى، وتلك مخالفة غير مقبولة .

يرى أحد الباحثين أن تحديد السلف كمفهوم دخلته آراء كثيرة ، وتبنته مواقف متعددة ، وطافت حوله آراء اعتقد صحتها وادعى أنها آراء سلفية ، بينما هى ليست كذلك ، يقول :

---

(١) الامام ابن حجر - العقائد السلفية ص١٠ .

"ان لفظ السلف أصبح يطلق فى عرف كثير من المتأخرين من علماء الكلام والتفسير على أئمة المذاهب المختلفة التى ينتمون إليها ، ويوجبون على جميع الناس تقليد هؤلاء الأئمة فيما ذهبوا إليه من آراء ومعتقدات ، ولهذا كان سلف الأشاعرة غير سلف المعتزلة ، وسلف الشيعة غير سلف الخوارج ، وأصبحت كلمة السلف ذات ذيول طويلة - ان صح التعبير - قد تمتد إلى القرن السابع الهجرى ، وكل فرقة تدعى لآرائها سلفية لاتتمتع بها أراء غيرها من الفرق .(١)

اذا مفهوم السلف على هذا الرأى غير شامل إلا لوصفه فقط وليس لحقيقة المذهب على ماهو مدون فى كتب السلف وبخاصة التى عنيت بالتعريف بهم ، والتركيز على مفاهيمهم وافكارهم والاراء التى وقفوا عليها .

لأنا نقرر أن الأخبار والآثار التى تنقل على أنها تمثيل لمذهب السلف الصالح يجب أن تعرض أولا على القرآن الكريم وما صح من سنة رسول الله ﷺ وماستقر من أقوال الصحابة والتابعين ، فهذا هو منهج السلف ، وأما غيره فهو مجرد ادعاء ولسنا بصدد الحديث عن المدعين كما أنه متى وافق المنهج محكم النص الشرعى قبل ومتى تناول المتشابه وانغمس فيه لم يعد سلفيا بقدر ما هو متأول .

وهناك من يميل إلى أن السلف هم الذين عاشو مدة القرون الثلاثة الأولى للهجرة مضافا إليها موافقة الرأى للكتاب والسنة ، فيقول : " ليس مجرد السبق الزمنى كافيا فى ذلك - دعوى السلفية - بل لابد أن يضاف إلى السبق الزمنى موافقة الرأى للكتاب والسنة نصا وروحا ، فمن خالف رأيه الكتاب والسنة فليس بسلفى وان عاش بين أظهر الصحابة والتابعين"(٢) لكن مامعنى السبق الزمنى ؟

---

(١) دكتور / محمد السيد الجليند /الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص٥٢ طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

(٢) المصدر السابق ص٥٢ .

الجواب : أن المراد بالسبق الزمنى هو القرون الثلاثة من عصر النبوة المباركة ، فاذا انتهت هذه المدة الممتدة الى قرون ثلاثة فقد انتهى امر السلف وربما تسامح حتى يكون فترة السلف هى القرون السبع من الهجرة على ماهو قوله.

غير أن هذا الرأى - رغم وجاهته - قد انحصر فى الفترة من القرن الأول إلى الثالث أو القرن السابع الهجرى على أوسع تقدير فكأنه جعل السلف هم أصحاب تلك القرون مع موافقة أرائهم الكتاب والسنة نصا وروحا ، غير أنى لا أتفق مع هذا الرأى على وجه الإجمال أما لماذا ؟ فلما يلى :-

١- أن هذا الرأى قد حصر مفهوم السلف فى أمرين :

أ- الفترة الزمنية حتى القرن السابع الهجرى .

ب- الوصف بموافقة الرأى للكتاب والسنة نصا وروحا وهذا فى حد ذاته تحجيم للسلف وحصر لمواقفهم ولسنا نؤيده لأنه لا رأى لهم بجوار القرآن الكريم والسنة المطهرة . إنهم لايعتبرون أنفسهم أصحاب رأى حتى تكون لهم موافقة ، انهم ملتزمون بالكتاب والسنة .

٢- أن هذا الرأى التزم فى تحديد السلف الصالح موافقة الرأى للكتاب والسنة وهو أولى حتى لو كان فى عصرنا الحاضر أو العصور المقبلة شريطة موافقة الرأى للكتاب والسنة نصا وروحا ، وبالتالى تسقط الفترة الزمنية والاولى ان يتسع حتى يشمل من وجودا فى القرون المتقدمة والمتأخرة والحالية متى كانت أرائهم موافقة للكتاب الكريم والسنة النبوية الصحيحة .

٣- أن هذا الرأى فى حصر السلف يجعل كافة الآراء الموافقة للكتاب والسنة نصا وروحا بعد القرن السابع الهجرى مفقودة الهوية لأن المعروف أن أهل السنة والجماعة التزموا منهج النقل بجانب العقل وأن المعتزلة قدموا العقل على النقل .

أما الفلاسفة فلم يكن للنقل عندهم من نصيب ،أما الحكماء المسلموون كالفارابى وابن سينا وابن رشد ، وابن ماجه ، وابن طفيل وابن مقونيه وغيرهم من حكماء المسلمين فقد كان النقل والعقل ومحاولات التوفيق بينهما احدى مبرزات التفكير الاسلامى ونعنى به التوفيق بين العقل والنقل أو بين الدين والفلسفة على ما هو مشهور عنهم .

واستمر الرأى على هذه الأمور حتى وقتنا الحاضر فى مفهوم السلف لدى علماء العقيدة وعلماء الاصول او رجال الحديث والتفسير ولم يشذ عن هذا الفهم الا من يحتاج الى تعريف بالسلف، فإذا قلنا إن أصحاب الرأى الذين يلتزمون الكتاب والسنة روحا ونصا ليسوا سلفية ماداموا بعد القرن السابع الهجرى فإلى من ينسبون؟

أللأشاعرة وهو المنهج الذى لايتبناه الأشاعرة ، لأن منهجهم لايقوم على النقل وحدة وإنما يقوم على النقل والعقل معا ؟

أم للمعتزلة ؟ وهو المنهج الذى يخالف المعتزلة ، أم ينسبون للفلاسفة وليسوا منهم الأولى تعميم لفظ السلف الصالح على النحو الذى ورد ويكون هو الاولى بالاعتبار.

اذن هؤلاء الموافقون فى آرائهم روح الكتاب والسنة على هذا الرأى الذى أناقشه سيصبحون بلاهوية مع أن آراءهم فى مجملها هى روح الكتاب والسنة ، لذلك أميل الى أن فهم السلف الصالح يجب ألا يكون محددا بفترة زمانية تبدأ من القرن الأول الهجرى ، وتقف عند القرن السابع الهجرى مثلا ، وانما يجب أن يكون الفيصل هو التزام الكتاب والسنة روحا وسلوكا واعتقادا وفكرا وان كان فى القرن الذى نحن فيه ، أو الذى يليه ، أو القرون الآخرى التى ستأتى على ما هو فى علم الله قائم . ثم ان منهج السلف الصالح يصلح للأخذ به كقاعدة مضطردة مع الايام ، لأنهم

أقرب الناس لرسول الله ، وأكثر من صحبه ﷺ ، وكان الوحى ينزل ﷺ وهو بينهم فيوجههم الى مافيه خير دينهم ودنياهم .

وكيف لا والوحى " كان ينزل بين أظهرهم فكانوا أعلم بتأويله من أهل العصور التالية ، وكانوا فوتلفين فى أصول الدين لم يفترقوا فيه ولم يظهر فيه البدع والأهواء ومن ثم كانوا أعرف من غيرهم بأمور دينهم .

واذا كان الذى سلف يمثل تلخيصا للموقف من مفهوم السلف كاصطلاح ، فإنه يجدر بى الانتقال الى المصطلحين على استخدام هذا اللفظ - السلف- سواء كانوا من رجال السلفية أو من المتكلمين أو المفسرين أو المحدثين على النحو التالى :

الفصل الثالث

السلف في مفهوم دعاته

ربما يكون من الصعب العثور على تعريف محدد للسلف كمصطلح تعربه السلفية . كل ما يمكن هو جمع الالشوارد والمتفرقات من بطون المؤلفات ، بحيث يتكون فى النهايه تعريف مركب من أجراء، تلك المحاوله.

١- الامام احمد بن حنبل [١] ﷺ.

يراى أن السلف هم " بقايا أهل العلم ، الذين يدعون من ضل إلى الهدى ، وينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين " ، وتأويل الجاهلين "[٢] ولم يتحدثوا فى المتشابه، وانما فوضوا الأمر فيه لله رب العالمين "

والمعروف أن الامام احمد فقيه فهو صاحب مذهب فقهى مشهور [٣] وكذلك هو محدث من أصحاب المسانق التى يعتمد عليها الدارسون فى التعرف على سنه رسول الله ﷺ [٤] ، ومع ذلك فقد عرف بالسلف رغم أننا نعتبره سلفيا، بل ان متأخرى السلفيه ربما اعتبروه اماما للسلفية فى فتره من فتراتها . وتاريخ الرجل دليل على أن التزم منهج السلف سواء فى الناحية العقيدية ، أو الفقهية والاخلاقية .

٢- شيخ الاسلام ابن تيمية .

يعرف السلف بأنهم :" أكمل الأمه علما وايمانا ، وخطؤهم أخف ، وصوابهم أكثر" [٥] على أن تعريف شيخ الاسلام ابن تيميه للسلف بأنهم أكمل الأمه علماء وايمانا فرغم استخدامه الفاظ أكمل ، وأخف ، وأكثر الا أن فيها دقه أيضا، فيقع الأمران : حسن اختيار اللفظ ، سلامه المعنى .

---

(١) هو الامام ابوعبد الله احمد بن محمد بن حنبل بن هلال راجع ترجمة فى جمهرة أنسان العرب لابن حزم ص٣١٩ ولد فى ربيع الاول سنه ١٦٤ وكان من أصحاب الامام الشافعى وخواصه .
توفى رحمه الله ظهر يوم الجمعه ١٢ربيع الاول ٢٤١ ه وله سبع وسبعون سنه المنهج الأحد جا صـ٤٣

(٢) الامام احمد بن حنبل : الرد على الجهميه والزنادقة صـ٥٢

(٣) الامام احمد بن حنبل رحمه هو صاحب المذهب الحنبلى واليه ينسب المذهب " وهو أقرب مذاهب الأئمة الاربعه تمثيلا لسماحه هو الدين ، ويسر تكليف ، ونفى الحرج والشقة عن المكلفين مراجع المنهج الأحمدى فى تراجم اصحاب الامام احمد جـ١ صـ٩- ١٠

(٤) مسند الامام احمد راجع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف

(٥) ابن تيميه مجموعة الرسائل الكبرى جا ص١٦-١٧ رسالة الفرقان

كما أن السلفيه عند ابن تيميه قسمان:

القسم الأول : الذين حفظت الاثار أحوالهم ، وذكرت إيمانهم ، وتحدثت عن أخلاقهم وسلوكهم كما تحدثت عن سلامه عقيدتهم وحسن تسلمهم لله رب العلمين ، وهم فى جملتهم يمثلهم صحابه لارسول الله صلى الله عليه وسلم كالحلفاء الراشدين الاربعة وكتبه الوحى ، والبدريون ، والمبشرون بالجنه وغيرهم ممن كانوا على هذا المنوال .

القسم الثانى : الذين دوانوا أراءهم بأنفسهم ، وعبروا عن وجهة نظرهم بأيديهم ، أو أعلنوها على تلاميذهم ، أوكتبها باجازة منهم المحبون لهم من أمثال الامام مالك بن أنس امام دار الهجرة ، ﷺ ، و الامام اليث ، والقاضى عياض ،و الفضل بن عياض والدارانى ، والامام احمد بن حنبل ومن كان على نفس طريقتهم فى الكتاب والاملاء والتدوين وأجازة الرواة.

كما ركز شيخ الاسلام على مواقف السلف من النص المنزل ، لامن حيث الاقرار به فكل المسلمين يقرون به على لأنه النص المنزل ، القطعى الورود انما من حيث فهم النص المنزل بها السلف المحكمة فإنهم يؤمنون بها على ماهى دالة عليه مباشرة،

اما الأيات التى ورد فيها المتشابهة ، سواء من الصفات الجبرية كالاستواء على العرش ، واليد أو غيرها فإن السلف يؤمنون بالنص ثم يجرون الأيات على ظاهرها الوارد من غير بحث وراء هذا الظاهر لقد كان " السلف يفهمون معانى هذه الأيات والأحاديث بدليل أنهم كانوا يثبتوان لله ما تضمنه من صفات .... غاية الأمر ان السلف رضى الله عنهم لم يكونوا يبحثون فيماوراء هذه الظواهر عن كنه هذه الصفات ، أوكيفية قيامها بذاته تعالى "[1] لأنها من الأمور الغيبية التى لامجال فيها للرأى .

---

١ - الدكتور / محمد خليل هراس ابن تيمية السلفى ص ٤٧ ط دار الكتب العلمية ببيروت

ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والأيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق ، وان القرآن يهدى التى هى أقوم " (١)

ويركز ابن القيم على أن الصحابه وهم سادة المسلمين ، وأكمل الأمه ايمانا تنازعوا مرة واحدة فى مسألة عقدية، سواء كانت من مسائل الاسماء والصفات ، أومن مسائل صفات الأفعال .

" بل كلهم على اثبات مانطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة ، من أولهم الى أخرهم ، لم يسموها تأويلا ، ولم يحرقوها عن مواضعها تبديلا ، لم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها ، وحملها على مجازها بل تلقدها بالقبول والتسليم ، وقابلوها بالايمان والتعظيم " (٢)

كما جعل السلف يتطبق مبدأ شرعى ، ألا وهو النهى عن الجدال والخوض فى مسائل الغيب ، لأن المسألة ليست بامكان الدلة العقلية ، ولاسيما ينال بها ، وانما هى من باب لايستطيع التمسك به الا من أمسك بهدى النقل المنزل ، أما الفعل فلا وهو فى اغلب حالاته غير مأمون الزلل .

واذا كان ابن تيمية قد حاول اثبات أن النقل الصحيح لا يخالف الفعل الصريح فإن يحاولته كتب لها بعض التوفيق ، لكن مارمى به خصوبه لم تتمكن هو من الافلات منه ، لأنه خصومه رأى أنهم يقدمون العقل على النقل فغضب منهم ، ونحن معه ، مادامت المسألة فى الغيبيات .

التوفيق بين النقل والعقل يشيع الصفات كما ألف هو نفسه كتابا تحت نفس العنوان - موافقه صحيح المنقول الصريح المعقول ، وما عنوان الكتاب الا محل النزاع الذى لم يقف به ابن تيمية عند حد ابداء الرأى ، بل تجاوزة الى ما هو أبعد من

---

(١) شيخ الاسلام ابن تمية - رسالة الفرقان بين الحق الباطل ص ٢٣ مجموعة الرسائل الكبرى

(٢) شيخ الاسلام ابن قيم الجوزية اعلام الموقعين عن رب العالمين ج١ ص٥٥

هذا ، واكثر صعوبه وكم تنت لو افتقد الرجل عن الجدل حتى يكون سلف على الوجه الامثل على أن النهى عن الجدل والخوض فى مسائل الغيبيات كان احدى سمات السلف حتى انهم تواصوا بالنهى عن " الجدال فى الله جل ثناؤه ، وفى صفاته رأسمائه (١) ولذا سلمت لهم حياتهم على النحو الذى راموه ، متمثلين الحديث الشريف " أنا زعيم بيت فى الجنة لم ترك الجدال وان مازحا " والاحاديث الكثيرة التى نهت عن الجدل ، ونبهت الى أخطاره الكثيرة .

ولأن الجدال فيه نوع من المراء ، محاولة فرص الرأى على الأخرين ، واشعارهم بقدرته على الغلبه والانتصار ، فقد نهى عن الشرع الشريف ، وحذر منه ، ونبه الى أن المجادل مراد لايقصد وجه الله تعالى ، قال ﷺ " انازعيم بيت فى ريض الجنه لمن ترك المرء " (٢) وقد فهم الصحابة المراد من المراد ، وأنه الجدل المنهى عنه شرعا .

إنه جدل بفتح باب الخصومات ، ويوزع بين الأصدقاء الاتهامات ، ويشيع فى المجتمع المسلم صورا عديدة من الشائعات ، من ثم كان الجدل المأمورية هو مجادلة أهل الكتاب وفى نفس الوقت لايكون الجدل الا بالحسنى ، قال تعالى " ولاتجادولوا أهل الكتاب الابالتى هى أحسن (٣) " وقوله تعالى " وجادلهم بالتى هى أحسن (٤)

وكان فهم السلف لهذه الأصول بمثابة القواعد المعمول بها ، فهم ينزلق أحدهم الى البحث عن المتشابهة من الأيات ، كما لم يحاول الخوض فى الصفات الخبرية ، بل أغلقوا ابواب الحديث المتشقق عن الغيبيات ، ونعم ما صنعوا فقد نأوا بأنفسهم عن مواطن الزلله وكانوا سلف صالحين فى ايمانهم ومناهج حياتهم ، وطرق معالجتهم للمسائل التى عرضت لهم .

---

(١) شيخ الاسلام ابن عبدالبر - كتاب جامع بيان العلم وفضله ج٢ ص٩٢ اولى

(٢) حديث شريف (٣) سورة العنكبوت الأية ٤٦ (٤) سورة النحل الأية ١٢٥

الفصل الرابع

مفهوم السلف عند علماء العقيدة

سلف الحديث عن السلف لدى دعاة السلفية والأن نعرض لمفهوم السلف لدى علماء العقيدة الذين يرون أن السلف الصالح هم الذين على آيات الله يقبلون ، ولمعانيها يفهمون ، وفى ظاهرها يبحثون ، وفى باطنها ومتشابهها لله يفوضون .

اذن هم يثبتون لله تعالى - ما أثبته لنفسه ، وينفون عن الله ما نفاه عن نفسه من غير تأويل يعطل ، كما فعل نفاة الصفات أو تشبيه يخل كالحال مع المجسمة والمشبهة فيؤدى الى التجسيم .

الاسترسال فى الحديث عن السلف ومنهجهم فى العقيدة يطول لكن ماذا على لو قدمت مجملا لهذا المعنى عن السلف عند علماء العقيدة على النحو التالى :

أولا : التفويض

سلفنا الصالح التزموا التفويض فى جانب كبير من الدين الاسلامى ألا وهو جانب الغيبيات ، فلم يقل واحد منهم فى الغيبيات قولا ولم يعرف لأحدهم فى المسألة أمرا إلا أنهم يقولون آمنا بالله وما أنزل على رسوله ﷺ مسترشدين بما روى عن ابى ثعلبة الخشنى رضي الله عنه قال : " قال رسول الله ﷺ ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلاتعتدوها ، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها (١) ."

وماروى من أن رسول الله ﷺ قال :" ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تقربوها وترك أشياء من غير نسيان رحمة بكم فلا تبحثوها ."(٢)

---

(١) عقائد السلف صـ٢٠٩ - وللشيخ ابوعثمان الصابونى شيخ نيسابور ت ٤٤٩هـ رسالة صغيرة اسمها "عقيدة السلف"

(٢) الامام البيهقى - السنن الكبرى - جـ١٠ / صـ١٢ ط أولى مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند سنة ١٣٠٥هـ وبهامشه الجوهر النقى .

(٣) أبونعيم الأصفهانى - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - جـ٩ - صـ١٧ دار الكتب العلمية بيروت .

ورغم أن الروايتين منسوبتان الى أبى ثعلبة الخشنى -باعتباره الراوى- والقاسم المشترك بينهما يكاد أن يكون متحدا ، إلا أن ما نستدل به هو أن مسألة التفويض التى التزمها السلف الصالح كانت فى حد ذاتها تمثل لهم متعة روحية ، ورياضية قلبية ، ونزهة عقلية وأمنا نفسيا ، وصحة ايمان وسلامة يقين وهو الأمر الأول .

ثانيا : التزام منهج القرآن فى عرضه أدلة وجود الله تعالى ، وقد كانوا يرون هذه الأدلة من الغيب الذى لايعلمه إلا الله على الكنه والحقيقة وكان دليلهم القرآنى قائما على هذا النحو متلمسن ما أثر عن عبدالله بن مسعود ﷺ فى قوله " أوتى نبيكم كُل شئ إلا مفاتيح الغيب [1] وكذلك الاحاديث الكثيرة التى وردت فى هذا المعنى .

يرى أحد الباحثين أن مذهب السلف فى أمثال هذه القضايا التى يعنى بها جمهور علماء الكلام قد وردت فى بعض الكتب التى تحكى مذهب السلف وأنها مما يفوض الأمر فيه إلى الله من حيث الحقيقة وإن كان لهم فيه فهم من حيث الظاهر من العبارة يقول :

" ورد فى بعض الكتب التى تحكى مذهب السلف أن آيات الصفات من المتشابه الذى لايعلمه إلا الله وذلك لدقة المعنى المقصود منها وخفائه [2] ". على المكلف ، بحيث لاينكشف الا الله رب العالمين ، ومن يختاره الله من عباده المرسلين ولعله استأ فى يفهم السلف لقولـــــه تعالى " هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات

---

(١) الشيخ/ طنطاوى جوهرى / الجواهر فى تفسير القرآن الكريم جـ /صـ٣٦ /ط الحلبى /١٣٥٠هـ .

(٢) دكتور/ محمد السيد الجليند - ابن تيمية موقفه من قضية التأويل صـ٦٠

محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين فى قوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الآلباب (١) .

وربما مال البعض الى أن السلف لفظ خاص ، وجمهور أهل السنة لفظ عام ، وأن الخاص هو لسلف - يندرج فى العام - وهو جمهور أهل السنة والجماعة - بحيث يكون لفظ جمهور أهل السنة والجماعة شاملا السلف ، وأهل الحديث وغيرهم ممن تنطبق عليهم أوصاف أهل السنة الجماعة .

وقد نقل عن السيوطى قوله :أما وجمهور أهل السنة فهم السلف ، وأهل الحديث على الايمان بها - الصفات الإلهية المتشابهة - وتفويض معناها المراد منها الى الله تعالى ولاتفسرها مع تنزيهنا عن حقيقتها ثم يعقب قائلا ": هذا هو تحديد السيوطى لموقف السلف والى هذا الرأى يميل معظم من تعرض لهذه القضية (٢) ".

ونحن نرى ان السيوطى فى حديثه عن الصفات الخيرية يذكر موقف جمهور أهل السنة ، وأنهم لايفترقون عن السلف ، كما أنه نفس موقف المحدثين أو موقف واحد تقع أجزاؤه بين المحثين وجمهور أهل السنة والجماعة وإلا فإن التفصيلات الدقيقة تحتاج الى مجهودات أخرى كثيرة .

ثالثا : التزام جانب التفويض فى الصفات الخبرية مع التصديق بما تعطيه قواميس ومعاجم العربية لأن لغة العرب هى الحاوية التى لايخرج عن معانيها لفظ قرآنى أو صحيح نبوى ، من ثم كان السلف الصالح لهم قدر كبير عند علماء العقيدة عرف بهم وعرفوا به ، حتى أن الامام الأشعرى قد التزم هذا المنهج السلفى وان لم يشير عنه فيما يتعلق بأمر العقيدة .

---

(١) سورة آل عمران الآية ٧ . (٢) المصدر السابق ص٦١

وقد كشف لنا ذلك في سؤال افترض وجواب رد حيث يقول :" ان سأل سائل فقال : ما الدليل على أن للخلق صانعا صنعه ومدبرا دبره ، قيل له : الدليل على ذلك أن الانسان الذى هو فى غاية الكمال والتمام كان نطفة ثم علقة ثم لحما ودما وعظما ، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال الى حال ، لأنا نراه فى حال كما قوته وتمام عقله لايقدر أن يحدث نفسه سمعا ولابصرا ولا أن يخلق لنفسه جارحة (١)

والأشعرى سلفى لامحالة – على قواعد السلف– اذ النصوص التى تؤخذ من الابانة واللمع ، والتى تمثل رأيه الشخصى دالة على ذلك ، ومن يطلبها من الابانة سيجد أكثر من دليل فى مسائل القضاء والقدر ومسائل الايمان بالغيب ، فالرجل فيها لم يزد على على ذكر النقل المنزل والاستدلال به .

ونحن بدورنا نرى أن هذا الذى ذكره الامام الأشعرى يتفق تماما مع النص القرآنى فى قوله تعالى:" ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ." (٢)

بل ان هذا الذى اشتهر من أن جمهور أهل السنة وعلماء السلف والمحدثين يفوضون الأمر فى الصفات الخبرية الى علم الله تعالى ، ومن الاستدلال على الله تعالى بطريق الفطرة ، مع الالتزام بالمنقل المنزل فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هو نفسه الذى عول عليه الامام الأشعرى إذ يقول " اذا كان تحول النطفة علقة ثم مضغة ثم لحما ودما وعظما أعظم فى الأعجوبة كان أولى أن يدل على صانع صنع النطفة ونقلها من حال الى حال (٣) .

---

(١) الامام أبو الحسن الأشعرى كتاب اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع صـ١٧/ ١٨ تحقيق د./ حمود غرابة مجمع البحوث الاسلامية – ١٩٧٥

(٢) سورة المؤمنون الآية ١٢-١٤

(٣) الأمام الأشعرى – اللمع صـ١٩.

اذا الامام الشعرى سلك طريق السلف فى الالتزام بالكتاب والسنة والايمان بأن النص مقدم على العقل بل هو الأصل وان الفعل اذا سلك طريقا غير النقل لم يضمن بلوغ السلامة بحيث يمكن اعتبار الامام الاشعرى فى هذه النقطة امتدادا للسلف الصالح على ما سلف بيانه وليس مخالفا لهم ، ولايقول بالمخالفة الا من تغلب عليه الرغبة فى الاتهام ، والتسرع فى اصدار الاحكام ، أو تحميل الاشعرى سيئات احدثت بعده ، ونسبت اليه ، ليس فيها شئ أصلا ، ومؤلفاته خير شاهد على ماندعيه .

رابعا : النهى عن الخوض فى مالاعلم لهم به :

وآية ذلك : أن الامام مالك وابن أبى ربيعة وام سلمة قد أثبتوا أن استواء الله معلوم غير مجهول ، وأن كيفية هذا الاستواء مجهولة ، وقد كانوا يدفعون غيرهم الى عدم السؤال عنها حرصا على سلامة العقيدة ونقاء الفطرة ، لأن السؤال عنها ربما جر الى التشبيه والتجسيم ، أو أدى الى التعطيل .

فمثلا : رؤية الله تعالى واستوائه نجد للسلف فيهما موقفا جميلا يدفع للايمان بالنقل وينهى عن الخوض فى المعنى لأنه من المتشابه الذى لايعلمه من حيث الكنة والحقيقة الا الله تعالى وآية ذلك : أن الامام مالكا رحمه الله تعالى - حينما سئل عن قول الله - تعالى -"الرحمن على العرش استوى -"فقال - مالك الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة هذا عن الاستواء .

وقد أثر هذا القول عن كثير من الصحابة ، وأن السلف كانوا يقومون به ويرددونه لأنه كف عن الخوض فى حقيقة الصفة وكيفيتها ، ولأنهم كانوا يرون فى أحاديث الصفات / ضرورة إمرارها كما جاءت دالة على معناها من غير اقحام

عقولهم فى التعرف على حقيقتها والدخول اليها ، بتأويل ينشأ عنه تحريف مقصود يقوم على صرف اللفظ عن ظاهرة

بل لقد عرف أن السلف كانوا يتكلمون فى جميع آيات الصفات وفى نصوص القرآن وتفسيرها بما يوافق معناها ودلالتها ولم يسكتوا عن بيان معنى آية ما، سواء فى ذلك الحكم والمتشابه (١) لكن من غير تأويل يعطل أو تشبيه يجسم ، وكيف لا وهم الأقرب عهدا برسول الله ﷺ ، كان القرآن ينزل بين أظهرهم ، والوحى ينطق فتأتى تعليماته كاشفة كل أمر لهم .

وفى رؤية الله تعالى التى وقع فيها الخوض بين مثبت وناف ، بين مأول ومفوض ، بين معطل ومجسم ، وربما لاتقدم لواحدة منها أدلة قطعية فى دلالتها بل أنها ظنية ، والتحكم وحده الذى يفصل فى المسألة ، والتفويض فيها أولى لذا فقد قرر أهل العلم موقف السلف ومذهبهم ، وأنه المذهب الذى يقوم :" عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثورى ومالك وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم قالوا : تروى هذه الأحاديث كما جاءت ، ونؤمن بها ولايقال كيف ولانفسر ولانتوهم (٢) ." وليت الأمة كلها أخذت بهذا المنهج حتى يتفادى القوم عقيدة بعضهم البعض التى صارت كلاما مباحا ، وعرضا لاصاحب له فتحجب عن الانتهاك له حرمة .

ولئن كان موقف السيوطى ههنا ربما لم يجد من الأدلة ما يعضده يبلغ شاطئ الضغط على غيره أوينال حجية تعلو به على غيره ، إلا أن الذى يعنينا ههنا هو امكانية تصوير موقف السلف الصالح من رؤية الله عزوجل -.

---

(١) دكتور / محمد السيد الجليند - الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص٦٥

(٢) الامام جلال الدين السيوطى - الاتقان فى علوم القرآن جـ٢ ص٦ .

يقول ابن تيمية - رحمه الله تعالى - :" تظهر أصول العقيدة لديهم - السلف الصالح - فى الإيمان بصفات الله تعالى - وأسمائه من غير زيادة عليها ، ولانقص منها ، ولاتأويل لها بما يخالف ظاهرها ، ولاتشبيه لها بصفات المخلوقين ، بل أمروها كما جاءت فى كتاب الله ، أو على لسان رسول ﷺ وردوا علمها الى قائلها (١)." سبحانه وتعالى ، الذى يعلم كل شئ على الكنه والحقيقة .

وبهذا نكون قد تناولنا جانبا مهما من جوانب تفهم علماء الكلام للسلف الصالح من حيث التعريف بهم ، ولكن على ناحية تقيم الوقف ، ووضع النصوص فى مقابلة بعضها من وجهة نظر علماء العقيدة مما يجعلنا ننتقل بهم الى ميدان تقويم آخر هو ميدان المفسرين .

---

(١) الامام ابن تيمية - نقض المنطق صـ٢٠٩ ط انصار السنة المحمدية تحثيث محمد عبدالدايم حمزة ١٩٥١ .

الفصل الخامس

السلف في مفهوم المفسرين

هناك مدارس تفسيرية لاتخطئوها عين دارس لكتاب الله تعالى ، سواء كانت من التفسير بالرأى أو المأثور ، أو كانت نوعا من التفسير المذهبى او العلمى او الاجتماعى ، وعلى أية ناحية كان هذا التفسير (١) .

وقد عرفت تفاسير عديدة لكتاب الله - غير ماسبق - بعضها عنى بالناحية افقهية ، وأخر باللفظ اللغوى ، وثالث بالتراكيب ابلاغية ، وربما اهتم بعضها بالاحكام والقواعد الاصولية او كان من قبيل التفسير الذى يعنى بالرموز والاشارات (٢)

والمفسرون لأيات الذكر الحكيم ، مهما تعددت طرقهم ، واختلفت اتجاهاتهم وكثرت مذاهبهم ، إلا أنهم أمام السلف يقفون لورود اللفظة فى القرآن الكريم حيث وردت مادة سلف ومشتقاتها فى القرآن الكريم حوالى ثمانى مرات (٣) .

كما وأن خدمة القرآن الكريم أمر مقرر فى عقيدة المسلمين حفظا له ، وفهما لمعناه ، وحرصا على تفهم معانيه ، والتمسك بمراميه ولذلك وجدنا المسلمين يحرصون على تلاوة القرآن ، وحفظه ، وكتابته ، والعمل به ، والاهتمام الذى يتناسب مع عظمته وجلاله ، ولم يشذ مسلم عن هذا أبدا .

وكان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - أسبق الناس إلى هذا العمل - تلاوة القرآن وتعليمه وتعلمه وكتابته بل ان الذى نقل القرآن الكريم الينا مكتوب فى صحف ، محفوظا فى صدور ، مطبقا فى قواعد وأحكام عملية ، وأخلاقية ، واجتماعية ، وحدود تطبيقية هم السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين .

---

(١) راجع مناهل العرفان فى علوم القرآن .

(٢) التفسير الاشارى غير التفسير الصوفى وربما عدهما البعض نوعا واحدا لكن هذا يحتاج الى مزيد بيان .

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقى صـ ٣٥٥ ط دمشق

كما كان لهم أهتمام بالغ فى تفهم مرامى آيات القرآن الكريم وهو مايعرف بالتأويل أو التفسير، لأن هذا المجهود يمثل لونا من أولوان الخدمة لكتاب الله تعالى حرص السلف على القيام بها ، فإذا كان التفسير هو " علم نزول الآية ونصها ، والأسباب التى نزلت فيها وبيان وضع ألفاظها حقيقة ومجازا" (١)

فإن السلف الصالح كانوا أعلم الناس بهذا كله ، إذ كيف لايكونون كذلك وهم الذين عاصروا الرسول - ﷺ - وكان الوحى ينزل عليه وهو بينهم ، بل كان الوحى يوجه خطواتهم متى لم تكن على الجادة ناهضة ، وكان سلوكهم وأنماط حياتهم محاولة لتطبيق النتقل المنزل .

وإذا كان التفسير هو مامر ، فإن التأويل هو : أخبار عن حقيقة المراد من الآية ، ولذا نجد الأمام الأصفهانى - رحمه الله تعالى - يفرق بين التفسير والتأويل فيقول : " أن التفسير أعم من التأويل وأكثر ما يستعمل فى الألفاظ ، أما التأويل فأكثر ما يستعمل فى المعانى والجمل وأكثر ما يستعمل فى الكتب الألهية أما التفسير فيستعمل فيها وفى غيرها " (٢) هذا على اعتبار أن التفسير أعم من التأويل .

فإذا لاحظنا الفوارق بين التفسير والتأويل وأدركنا أن السلف الصالح لم يكونوا بعيدين عن هذه المسائل فلا شك أننا سنردد مع الآخرين بأن السلف الصالح قد أهتموا بعلم التفسير وكان هذا عمل أئمتهم وعلمائهم ، بل انهم صنفوا " فى ذلك مصنفات ذاخرة بشتى ألوان المعرفة عن علوم القرآن وأسباب نزوله وعلم تفسيره وما يقبل من التفسير ومايرد وموضوع التفسير وغايته وأنواعه (٣) " وقد بلغوا فى ذلك غاية كبيرة .

(١) الأمام السهروردى / عوارف المعارف صـ ٤٨ بهامش أحياء علوم الدين / للأمام الغزالى الطبيعية اليمنية

(٢) الأمام الراغب الأصفهانى / مفردات غريب القرآن / صـ ٣١ ، ٣٢ كتاب الغاء طبعة الحلبى سنة ١٩٦١

(٣) دكتور / محمد السيد الجليند / ابن تيمية وموقفة من قضية التأويل / صـ ٤٢

ولانتجاوز الحقيقة اذا قلنا : ان السلف الصالح عرفوا التفسير والتأويل ، وعلوم القرآن الكريم ، وتركوا اشارات واضحة ، وعلامات محددة ، كانت اللبنة الاولى فى بناء كل من التفسير والتأويل ، ووضع القواعد لكل منهما ولم يكن واحد من علماء السلف يهوى تفسير القرآن بغير المأثور الصحيح ، لأنهم احفظ الناس بالقرآن الكريم وأشدهم معرفة بالحديث الشريف ، وأقربهم فهما لمأثور الصحيح وكيفية الاستدلال ، او تفسير النص من خلاله أو التعرف على أغراض من نقل منزل فى محكم قرآن كريم او صحيح سنة نبوية .

إذن السلف عند علماء التفسير هم الذين فهموا مراد الله - تعالى - فى قرآنه من غير أن يؤدى هذا الفهم إلى تجاوز ،لذلك فإن تفسير أئمة السلف وعلمائهم هو الذى يعول عليه حتى أردنا التعرف على السلف الصالح . اما لماذا ؟

فلأنهم كانوا على تواصى بعدم الخوض فى التفسير من غير علم موثق ، ومعرفة صحيحة حتى إذا فسر أحدهم أية من كتاب الله تعالى فإنه يستعن الى القرآن الكريم لغه، وسنه رسوله ﷺ ، فإن اعوزه أمرهما استنار بتوجيه الصحابى الذى له سبق فى الاسلام عليه ، أو شرف صحبته اطول عنه ، ولم يكن يجد فى ذلك ادنى غضاضة ، بل كان يراه الواجب الأمثل لذلك كان يستند إلى الرسول الكريم فى توجيهة أو إلى صحابى فى سمعه وهو ما يعرف بالتفسير بالمأثور حتى أن ابن تيمية ربما اولع بهذا حتى انه ليذكر أن " أهم التفاسير الموجودة بأيدينا اليوم وأصحها هو تفسير الطبرى ، لأنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة عنهم وليس فيه بدعة ولاينقل عن المتهمين " (١)

---

(١) ابن تيميه مقدمه فى أصول التفسير صـ ٥٦ هـ المطبعه السلفيه ١٣٨٥

ولانتهم شيخ الاسلام بالتعصب للطبرى ، ولكنا نقول: ان المآخذ والمراجعات التى وقعت على ابن جرير الطبرى كانت أهون من غيره، وكانت حيطة ابن جرير كل قبول شيخ الاسلام ، كما ان ابن جرير لم يقع تحت تأثير المذاهب التى سادت عصره مثل ماوقع لمحبى الفلسفة والمنطق والكلام من المفسرين الذين امتلأت كتبهم بها حتى خرجت بالتفسير عن الغرض المنشود على أن يوقف ابن تيمية هو رأى له ربما ظاهرة معه جمع غفر لكن من غير تحديد لمفسر وانما الاهتمام بكل مفسرى المأثور على اعتبار أنهم ممثلو السلف فى الناحية التفسيرية ، أو الفهم للقرآن الكريم ، وسنة رسوله ﷺ ، ويجب التفريق بين المعنيين .

الفصل السادس

السلف عند علماء الحديث

أهل الحديث نضر الله وجوههم هم حملة سنة رسول الله ﷺ ، المحافظون عليها والذين يعنون بها سندا ومتنا ، كما يهتمون بها تدويناوتنقيحا وتعليقا وشرحا ، أما يكفى أنهم أهل الجرح والتعديل ، لذلك كان وصفهم بأنهم أهل الحديث مما ميزهم عن بقية الطوائف الأخرى وكان هذا الوصف من الأوصاف الجميلة والصفات الحميدة التى تدفع الأخرين إلى أحترام الموصوف بها أهل الحديث انهم خدمة كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ.

لذلك رأينا المحدثين ينحازون إلى السلف الصالح ، ووجدنا السلف الصالح ينهلون من عذب القرآن الكريم ورحيق السنة ، حتى كان الحديث فى الماضى عنهم لايميز بين السلف وأهل الحديث فى عنوانين أو طائفين ، وإنما كان يذكر أحدهما فينطوى الأخر تحت لوائه بحيث إذا قيل مثلا : اهل الحديث فهم أنهم السلف الصالح ، وإذا قيل السلف الصالح فهم أنهم أهل الحديث ، فانعكس الأمر فى اللفظين واضطروا ، وظل الأمر على هذا المنوال ، السلف هم أهل الحديث ، وأهل الحديث هم السلف ، حتى شبت نار العداة التى أججها خصوم الاسلام ، وبدت العداوة التى شاد لها هؤلاء الخصوم كل حصن ظنوها منيعا ، حتى بات أمر المسلمين شيعا متنامرة ، وأحزابا متصارعة ، انتهت بالطعن على الناس فى عقيدتهم الدينية التى مناطها القلب ، ولايعلم بها الاعلام الغيوب .

وفى هذه الغضون ظهرت الخفافيش فى أثواب الشياطين ، وتستقر المردة فى زى رجال الدين أطالوا اللحى ، وقصروا الأثواب ، وحملوا المسابح الطويلة ، وربما صاموا كثيرا ، وصلوا طويلا ، وغرهم المستكين فى صدورهم تعلن عنه طواياهم فى شكل صنع عداوة من غير سبب ، وتشقيق فى غير موضع ، وقتال فى غير معركة ، بل حملوا لواء تكفير غيرهم من مخالفيهم فساهموا مسرعين فى نشر هذه العدوات وبث السموم الناقعات .

غير أنه لم يمض وقت طويل حتى بات الأشوى يتهم المحدث بأنه حشوى ، وقد نال الفخر منهم أى منال (١) كما وقف ابن تميه للفخر يتهمه بالكفر والالحاد ، والخروج من ملة المسلمين ، ويحمله كل الضلالات التى امتلأت بها كتب المسلمين ، سواء الفخر الرازى ومن كان على شاكلته من علماء الأشاعرة (٢)

وبهذا بات الامر عسيرا حتى ان الامام السنوسى الماتريدى ينقل تلك الطعون على الأشاعرة ويرددها لاباعتباره ناقلا ، وانما باعتبار أنها رأى له فى المسألة (٣) وصار المحدثون اعداء المفسرين ، وعلماء الاصول خصوم الفقهاء ، والمتكلمون فرقاء الصبر فيه ، والمجتمع المسلم كله بات يتربص ببعض بعضه والضحية الذبيحة هى المجتمع المسلم وتراث المسلمين .

غير أنى أميل إلى أن أهل الحديث هم وأهل السلف هم الذين تمسكوا بسنة رسول الله - ﷺ عملا ، وقولا ، وسلوكا ، وفكرا ، حتى عدالأمام أبو حنيفة النعمان من مدرسة الرأى ، وليس من السلف ، كما وعد الامام مالك من أهل السلف وأهل الحديث ولم يعد من أصحاب الرأى كما عد الأمام أبو حنيفة، وإن كان ابو حنيفة من وجهه نظر، سلفى لامحالة .

بهذا ننتهى من عرضنا لمفهوم السلف فى كل من اللغة والاصطلاح الخاص بعلماء العقيدة والتفسير ،والحديث ،على مامر بيانه ز

<u>والذى أميل إليه هو</u> : أن السلف لفظ عام قد يأتى موصوفا حتى يتم التميز ، لأن الوصف مميز خاص وبالتالى فلا بد من القول : السلف الصالح حتى يتميز عن السلف غير الصالح ، تلك نقطة

---

(١) راجع كتابه المطالب العالية جـ٨ ،٩ (٢) راجع الجواب الصحيح جـ٣ ،٤

(٣) راجع حاشية السنوسى

ونقطة ثانية هي : أن السلف الصالح عندى هم الذين تمسكوا بكتاب ربهم وسنة نبينا - ﷺ - وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عقيدة وشريعة وأخلاقا مقدمين نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على غيرهما ، جاعلين العقل الانسانى السليم فى مرتبه تلى النقل الصحيح ولا تسبقه ، تأتى لخدمة النقل لا لتعانده سواء كانوا فى أيام رسول الله - ﷺ - أو كانوا فى الزمن الذى تلاه حتى وقتنا الحاضر، وما سيأتى من أزمان على ان يؤخذ فى الأعتبار كون مفهوم السلف هو وصف واقع على أصحابه وليس اسما على مجرد مسمى .

فإذا بان لنا هذا فقد تحقق عندنا أن السلف الصالح - رضوان الله عليهم أجمعين لايخرجون عن هذا المعنى الذى سلف الحديث عنه .

وهناك فرق بين دعوى السلف ، وبين الوصف السلفى العام : فمدعى السلفية قد لا يمارسها ، من ثم فلا يمكن أعتباره سلفيا بمجرد زعمه أودعواه ، وإنما لابد من تطابق الدعوى ذاتها مع المدعى نفسه ، فإذا وجدنا من يتأول فى أيات القرآن الكريم ويدعى السلفية ، قلناله : أن السلفية ليست تأويلا .

واذا ادعى فى آيات الذكر الحكيم مالم يتفق عليه علماء السلف ، كأن خلط بين القطعى الدلالة والقطعى الورود أو جمع بين ما هو ظنى الدلالة واحتمالى الثبوت ، أزعم عدم النسخ لما ثبت نسخه ، او نسخ مالم يثبت حكم انه منسوخ رغم أن ظواهر الآيات القرآنية قد ذكرته ونبهتنا عليه . قلنا : أنك لست بسلفى .

اما زعم أن النسخ فيه اثبات لما يتنافى مع العلم الشامل ، فهو زعم غير موفق[(١)] ورأى غير سديد ، لأن الناسخ هو الله والمثبت هو الله ، والموصوف بالعلم الشامل هو الله ، فإذا أثبت أو نسخ فهذا مما لايسأل فيه جل علاه ، لأن المسألة برقتها تخصه وحده سبحانه وتعالى .

كما أن الزعم ببطلان النسخ بناء على أنه نوع من تعطيل العمل بالنص المنزل فهى وجهة نظر لم تسلم لأصحابها [(٢)] لأنهم حصروا النسخ فى مفهوم واحد متناسين أن النسخ أنواع منها .

١- نسخ شريعة بأخرى

٢- نسخ حكم شرعى بحكم شرعى أخر

٣- نسخ معنى كان وهذه الأنواع تحدث عنها علماء الأصول وعلماء العقيدة ، كما أن هناك نسخا تحدث عنه علماء التفسير ، فليرجع اليها طالبها .

اذن هناك مقياس يجب ملاحظته فيما يتعلق بالسلفى ومن يتسبب إليه فإذا زعم فى أيات القرآن الكريم أن اللفظ على حقيقة وبخاصة فيما يتعلق بالصفات الخبرية ، حتى زعم أن الله له يد وجارحة ، وأنه ينزل ويصعد كما ينزل غيره من الخلائق ، قلناله : إنك مجسم والتجسيم ليس من سمات السلف الصالح للفرق الكبير

---

(١) تبنى هذا الموقف جمع كبير فى الماضى ، وفى الحاضر كتب الأستاذ عبد الكريم الخطيب كتابه " لانسخ فى القرآن - والاستاذ عبد المتعال الجابرى - لانسخ فى القرآن ود/ احمد حجازى السقا لانسخ فى القرآن ، وكلهم لم تبلغ شبههم دور الدليل حتى يؤخذ بها ، وبخاصه أن هذه الشبه لاتقوى على مواجهة النقل فى قوله تعالى " ما ننسخ من أيه أوننفسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير "

(٢) تبنى هذا الأمر الاستاذ عبد الكريم الخطيب فى كتابيه التفسير القرآنى . وكتابه لانسخ فى القرآن وادعى أن النسخ معناه تعطيل العمل بالنقل المنزل ، وليس الحال بأن النسخ مافهمه هو .

بين الأثنين ، أما إذا قال لنا : أنا نثبت لله ما أثبته لنفسه، وننفى عن الله تعالى ما نفاه عن نفسه، من غير تفويض يؤدى إلى التعطيل ، أو تأويل يؤدى إلى التجسيم ، أو عكس المسألتين ؟ قلنا نعم ذلك منهج السلف الصالح وأنهم كانوا يفقون من العقل السليم موفقا مهذبا مقبولا ، فلم يكونوا من القائلين باهماله ، أو إلقائه وإنما كانوا يرونه حجة الله على عبادة ، وخادما للنقل المنزل فى حدوده

وأود الاشارة إلى أن هناك سلفا ، وهناك من يدعى السلفية، ونحن هنا سنركز حديثنا على مايخص السلف، لاما يخص دعاة السلفية اختصارا للجهد وتوفيرا للجدل ووصفا للمسألة فى نصابها المنشود فيها.

الباب الثاني

أدلة السلف

الفصل الاول

أدلة السلف على وجه الإجمال

سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - اهتموا بأمر دينهم عقيدة وشريعة وأحكاما ، وكان لهم فى كل منها منهج يحتذى ، وكان فيه من النتائج ما هو أقرب للقلب والأسلم للدين والحكم عند المسألة ،

وحيث قد عرضنا للتعريف بمنهجهم فإن الحديث عن أدلتهم تقوم على

١-النقل المنزل،

٢-والأدلة الكونية ،

٣-والأدلة الكونية القرآنية،

مما يجعلنا نقسم الحديث حول هذه الأدلة على النحو التالى :-

١- يقرر علماء الكلام أن الاستدلال على وجود الله- تعالى - يقع بين جناحين أو يقف عليهما: وربما طاريهما ، دفاعا عن العقيدة الصحيحة ، وتثبيتا لها فى النفوس.

الأول : الدليل النقلى

يعرف الدليل النقلى : بأنه المأخوذ كله من النقل ولذا عرفوه بأنه ماكانت مقدماته نقليه.

ذلك أن السلف الصالح فى استدلالهم على العقيدة الايمانية لم يكونوا ليقرروا أمرها بطريق العقل ، وإنما كان بطريق النقل ، كما أنهم كانوا يسوقون عليها الدليل النقلى " وأمراره على ظاهره من غير تشبيه يوقع فى التجسيم أو تأويل يؤدى إلى التعطيل " [١] وإنما : " طفقوا يقررون العقائد من واقع النصوص الشرعية " [٢]

---

(١) أ د / محمد حسينى موسى محمد / الايمان بالغيب وأثره على الفكر الاسلامى صـ ١٩٠ دكتوراه مخطوطه بكلية أصول الدين بالقاهرة سنة ١٩٩٥

(٢) الدكتور / حسن محرم الحوينى / المنهج فى اثبات الصانع بين السلفية والمتكلمين صـ ٢٠ دار الطباعة المحمدية / ط أولى سنه ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م

وليس معنى هذا أن السلف الصالح كانوا يهملون عقولهم أو يلغونها ، وإنما كانت المسألة عندهم تقوم على الايمان بما جاء به النقل والتصديق والاعتقاد بما تدلى به النصوص الدينية الصحيحة، ومن ثم فهم قد آمنوا بالله - تعالى - على سبيل الفطرة واعتقدوا فيه على سبيل التسليم ، فلما نظروا فى النص المنزل وحاولوا التعرف على العقيدة الايمانية من خلال النقل المعصوم كان لهم دورهم الذى برز فى الأدلة النقلية ، يقول أحد الباحثين: " كان المعول عليه عند أئمة السلف وعلمائهم من أهل السنة والحديث هو الأدلة الشرعية فى اثبات العقائد وتقريرها ولم يعرف عندهم ما سمى فيما بعد بالدليل العقلى " (١):ولايقصد بعدم المعرفة هنا الجهل بالدليل ، وانما عدم الأخذ به مع موفتهم له ، لأنهم يقدمون النقل وهو عمدتهم فى الاستدلال .

أجل لم يكن السلف الصالح يتجهون إلى الدليل العقلى ، وتلك مسألة حسم القول فيها ، كما أنهم هرعوا إلى الدليل النقلى ، وتلك سمه بارزة فيهم ، لكن هذا الدليل النقلى له وجه استدلال ، وله أجزاء يتركب منها ، وهناك نتائج تلزم عنه وهو ما سوف نلفت إليه عند تفصيلنا لهذه الأدلة مما يثبت أن السلف كانوا مفكرين من النموذج الممتاز فهم يستخدمون عقولهم ويعلمونها فى فهم النص ، وكيفية الاستدلال به ، والناحيه التى يمكن توجيهه عليها حتى يتم الأخذ بها.

الثانى : الدليل الكونى

التزم متقدمو السلف الدليل الكونى ، وهو يقوم فى مجمله على تأمل الكون المترامى الأطراف ومحاولة تأمله وعلاقة هذا الكون بما ورد فى النقل المنزل ، بحيث يمكن القول بأن هذا الدليل : " يقوم على النظر فى أحوال العالم المشاهد وتأملها"(٢)

---

(١) المصدر السابق / صـ ٢٠

(٢) الدكتور / على عبد الفتاح المغربى / أمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدى وآراؤه الكلاميه صـ ١٢٣ / مكتبة وهبة سنة ١٩٨٥ ط أولى

من ذلك ما يقع فى الأنفس ، وفى الآفاق ، وفى أجواء الفضاء ، وفوق السموات السبع ، وتحت الأرض ، لأن المعروف هو أن السلف الصالح كان النقل المنزل له أثر بالغ : " فى صقل ذهن الأنسان المسلم ، فالحقائق الايمانية وخصائص الشريعة الاسلامية تمثل حجر الأساس فى تكوين عقلية المفكر المسلم " (١) وهذه الحقائق الايمانية تأخذ بألباب المفكر المسلم . فيسلم بها مباشرة ، ثم تأتى خصائص الشريعة الاسلامية فتجعل الاسس الثابته أكثر ثباتا ، وأوضح تقويما ، من ثم تصير عقليه المفكر المسلم فنضبطه به .

والتأمل للدليل الكونى يراه ماثلا فى كافة الكائنات بحيث : " إذا نظر الانسان إلى أى كائن من الكائنات وأدرك شيئا من خواصه ومزاياه والكيفية التى تكون عليها لايسعه إلا أن يعتقد أن لها موجدا حكيما مختارا فى تصرفه منزها عن كل نقص " (٢) ويسمى كونيا لأن صاحبه يعمدا لى الكون وأسراره ، فينظر فيها ، ويحاول تجليتها والتعرف عليها ، من غير تحديد لجزء من الكون ، بل فى كل الكون

وهذا الدليل الكونى مما التزمه السلف الصالح - رضوان الله عليهم أجمعين - غير أن هذا الدليل ربما عضدته أدلة أخرى نسوقها على سبيل الاجمال وهى فى مجملها أدلة سلكها السلف الصالح من هذه الأدلة ما يلى :-

---

(١) الدكتورة / فوقية حسن محمود / مدخل إلى الفكر الاسلامى / مطبعة أخوان نزيق سنة ١٩١١

(٢) الأستاذ الشيخ محمود أبو دقيقة / القول السديد فى علم التوحيد / ج ١ صـ ١٩٩ تحقيق الأستاذ الدكتور / عوض الله جاد حجازى / طبع مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف سنة ١٩٩١

(٣) سورة الروم / آية رقم ٣٠

١ - دليل الفطرة

يقوم على أن الفطر السليمة والعقول النيرة تصل بفطرها إلى التصديق بوجود إله حكيم له من صفات الجلال والكمال ما يتناسب معه - جل علاه- قال تعالى " فطره الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون " (١) وهذة الفطرة قاسم مشترك من حيث هى فطرة ، وان اختلفت درجاتها من حيث القوة والضعف او الثقافة الدينية وعدمها ، فان الثقافة الدينية تصقل الفطرة ، وتجعلها فى موقف اكثر وضوحا ، وأقوى تأثيرا .

إذن دليل الفطرة من الأدلة التى باشرها السلف الصالح ، وهو دليل جيد يتساوى فية الحفاة العراة مع ساكنى القصور ولايحتاج إلى مجهود كبير حتى قيل إن :" دليل الفطرة يؤثرة كثير على غيره من الأدلة ويجعله أولاها ." (٢) وهذا الايثار يراجع لطبيعة الدليل نفسه ، وحاجة المستبدل به ، وطلب المستدلين له ، فهو دليل سهل ، قريب المنال لايحتاج مقدمات مطوله ، ولامجهودات عقليه ، ولابحاجة الى صور منطقية يقبل عليها المستدل فيسلم بها الخصم أو يجحدها ، أنه أسهل من ذلك بكثير.

ومما تجدر الإشارة اليه ، هو أن دليل الفطرة عند السلف غير مفهوم الفطرة عند الفلاسفة ومفكرى الفلسفة الحديثة ، وعلماء الأخلاق فى الغرب ، أما لماذا؟ فهو أن الفطرة الدينية تقرر الايمان بمعرفة الله تعالى من غير حاجة الى دليل آخر.

---

(١) الشيخ / محمد جمال الدين القاسمى / كتاب دلائل التوحيد / صـ ٢٣ تقديم ومراجعه / محمد حجازى مكتبة الثقافة الدينية / بدون تاريخ

أما الفطرة الأخلاقية أو مايعبر عنها بالحاسة الأخلاقية والضمير الأخلاقى فهذا شئ آخر، ان ميدانه معرفة الخير والامساك به، والتعرف على الشر والابتعاد عنه، لأن معرفة الخير تعود الى ممارسته والقيام عليه، ومعرفة الشر تدفع الى الابتعاد عنه والانصراف بعيدا عن ميدانه.

كما نرى فرقا واضحا بين الفطرة الدينية والفطرة الاخلاقية عند مفكرى أوربا، أما عند مفكرى الاسلام فالامر محسوم بأن الفطرة التى قوامها الدين الاسلامى منضبطة هادفة، منطلقة فى حدود ثابتة، وهى فى ذات الوقت مأمونة.

بين ان الشرع لم يتحدث عن هذه الفطرة الدينية على أنها حاسة او مذهب أخلاقى - كما فعل أصحاب المذاهب الأخلاقية، وإنما اعتبرها مكونا أساسيا من عقيدته الدينية، لأن كل نبى جاء يدعو أمته لكمكارم الأخلاق، وتجنب الشرور والآثام، ومن ثم فليست أمته بحاجة الى هذه المذاهب الأخلاقية.

لذا رأينا أصحاب "مذهب الحاسة الخلقية" وأصحاب " مذهب الضمير الاخلاقى" بعد أن أعيتهم الحيل وقفوا عند باب الأمل يطلقون صيحة مفادها أن الحاسة الفطرية هى عبارة عن غريزة أخلاقية وليست دينية (١).

على أنا نقرر وجود فوارق بين هذه الغريزة الخلقية - كما يسمونها - وبين الفطرة الدينية التى نتحدث عنها، كما أن الشواهد الدينية تؤيد ماذهبنا اليه من ذلك قوله تعالى ط فطرة الله التى فطر الناس عليها " قال الراغب الأصفهانى : هذه إشارة منه تعالى الى ما فطر أى بلوغ، وركز فى الناس من معرفته تعالى. وفطرة الله هى ماركز فيه من قوته على معرفة الايمان " (٢)

---

(١) د./ توفيق الطويل - الفلسفة الخلقية صـ٣٢٩ ط النهضة المصرية سنة ١٩٦٠م وفى الكتاب حديث طويل عن الحاسة الخلقية فى المذاهب الاخلاقية فليرجع اليه من شاء.

(٢) الراغب الاصفهانى - المفردات فى غريب القرآن ٣٨٢ ط دار المعرفة تحقيق محمد سيد كيلانى

وقد فطن لهذا الفرق بعض رجالات المعتزلة يقول الجاحظ " اعلم ان الله جل ثناؤه خلق خلقه ثم طبعهم على جلبى اجتوار المنافع ودف المضار" ثم تحدث عن هذه الكيفية وهل هى مكتسبة أم بطريق الفطرة والجلبة فقال :" وهذا فيهم طبع مركب ، وجلية مفطورة ، ثم ذكر كونها غرائز ومن أى الأنواع فقال :" وهذه الخلال غرائز فى الفطرة ، وكوا من فى الطبع ، جبلة ثابتة ، وشيمة مخلوقة (١) .

وعلى كل فإن أشارات الجاحظ ربما وجدت له أمثال متفرقات فى فكر بعض المعتزلة لكنها لاتكفى حتى يكون الحديث عن دور الفطرة فى الايمان لدى المعتزلة وإنما أمرا أساسيا ، أو يمكن فبسه منهم ، ولايمكن البحث عن هذه الفطرة فى فكر الاشاعرة استقلالا ، وانما الامثل وضع بتصور كمفهوم الفطرة فى الفكر الاسلامى وبيان دورها فى مجال العقيدة والشريعة والاخلاق ، والا فإنها مسألة مهمة يجب أن ينتدب باحث نفسه للحديث عنها .(٢) وسوف يكشف البحث له أن مفكرى السلف كانوا على صواب فيما ذهبوا اليه وأسلم فيما قررو من أدلة على النحو الذى سلف .

وهذا الدليل كم ساق إليه القرآن الكريم ، وجاءت أجزاؤه على نواح عديدة ، وفى آيات كثيرة من القرآن الكريم فمثلا قوله تعالى : " قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى " (٣)

---

(١) الامام الجاحظ - رسائل الجاحظ جا صـ ١٠٢ ، ١٠٣ تحقيق عبدالسلام هارون ط القاهرة ١٩٦٤

(٢) أقترح أن يقوم أحد الدارسين ببحث فى هذا الموضوع فى رسالة علمية ويكون تحت عنوان " الأفكار الفطرية بين الدين والفلسفة دراسة مقارنة ففيها خير كثير.

(٣) سورة إبراهيم / ١٠

فهذا الدليل القرآنى يشير إلى فطرية معرفة الله تعالى ، وإلى أن هذه الفطرية راسخة فى الأعماق : " ولذلك لم يأت الأنبياء والرسل ليعلموا بوجود الصانع وإنما ليدعوا إلى التوحيد " (١)

لأن وجوده تعالى أمر ثابت فى الافهام ، مقرر فى الأذهان ، لكن تحيده تعالى وصفات ذاته لاتنقل الفطر بمعرفتها ، ولايهتدى العقل اليها ، وإنما لابد من النقل ليخبرها عنها ، ويعرف بها ، ويدعو اليها .

٢- دليل العناية

وهو دليل يقوم فى مجمله على أن العاقل متى تأمل هذا الكون الواسع المترامى الأطراف أدرك أن كل شئ فيه قد وجد متعلقا بحكمة معينة وأنه يسير نحو غاية واحدة فأيقن أن هذا العالم له خالق جلت صفاته وتعالت ذاته تشهد له أعلام الوجود وتقرر بأنه وحده المعبود ل إله سواه ، ولامعبودا غلا هو سبحانه وتعالى .

إذا هذا الدليل بجانب ماسبق إنما يدفع إلى القول بأن السلف الصالح - رضوان الله عليهم - كان الدليل النقلى هو المعول عليه ، والدليل الفطرى كان القاسم المشترك أما الدليل الكونى القرآنى فكان بداية عهد جديد من أنماط التفكير فى الاستدلال على العقيدة لدى السلف الصالح ، فيه مجهود عقلى مواكب للنقل المنزل ، أو هو مجهود العقل فى حدود فهم العقل .

من ثم يمكن اجمال أدلة وجود الله عند السلف الصالح فيما يلى :-

١- الدليل الفطرى

٢- الدليل النقلى

٣- الدليل الكونى القرآنى ، وهو الذى سألفت إليه فى تفصيل يقتضيه المقام

---

(١) الشيخ / محمد جمال الدين القاسمى / كتاب دلائل التوحيد / صـ ٢٦

الفصل الثانى
العقيدة الإيمانية فى عصر
نزول القرآن

أولا : تقرير العقيدة الايمانية فى عصر نزول القرآن الكريم

جاء القرآن الكريم يقرر العقيدة الايمانية للمسلمين ، فما من جزء عقيدة إلا وقد أفاض القرآن الكريم الحديث بحيث لم يجد المسلم شيئا يحتاج إليه فى أمر العقيدة إلا وكان القرآن الكريم هو الفيصل ، وكان منهج القرآن الكريم فى تقرير العقيدة الايمانية يقوم على أمرين:

الأمر الأول : كشف ضلال العقائد الموروثة

الأمر الثانى : بناء العقيدة الايمانية الصحيحة

ويجمل الامام " محمد عبده " هذين الأمرين فى عبارة موجزة فيقول : " جاء القرآن فنهج بالدين منهجا لم يكن عليه ما سبقه من الكتب المقدسة ، منهجا يمكن لأهل الزمان الذى أنزل فيه ولمن يأتى بعدهم أن يقوموا عليه ، فلم يقصر الاستدلال على نبوة النبى محمد - ﷺ - بما عهد الاستدلال به على النبوات السابقة بل جعل الدليل فى حال النبى مع نزول الكتاب عليه فى شأن من البلاغة يعجز البلغاء عن محاكاته فيه ولو فى مثل أقصر سورة منه ، وقص علينا من صفات الله ما أذن الله لنا ، أوما أوجب علينا أن نعلم لكن لم يطلب التسليم به لمجرد أنه جاء بحكايته ولكنه أقام الدعوى وبرهن . " (١)

وواضح أن الأمام " محمد عبده " أبان الأمر الثانى ، وهو بناء العقيدة الايمانية الصحيحة التى تقوم على البرهان ، والدليل ، وانتزاع المقدمات ، وإقرار العاقل المفكر بأن نور القرآن وبلاغته وإعجازه أعلى من ملكات كل المخالفين .

---

(١) الأستاذ الامام / محمد عبده / رسالة التوحيد / صـ٧ تحقيق / السيد الامام محمد رشيد رضا/ مكتبة القاهرة سنة ١٣٧٩ هـ ١٩٦٠م

وبالتالى أقام الدعوى على عجزهم وقوته ، وبرهن على نقصانهم وكماله ، فكانه أثبت ببطلان الضد كمال اللامتناهي، وبضعف المخلوق ، قوة الخالق جل علاه - هذا عن الأمر الأول .

أما الأمر الثانى - وهو هدم العقائد الباطلة - فيقول الشيخ الامام : " وحكى مذاهب المخالفين ، وكر عليها بالحجة ، وخاطب العقل ، واستنهض الفكر ، وعرض نظام الأكوان ، وما فيها من الأحكام والأتقان على أنظار العقول ، وطالبها بالامعان فيها فتصل بذلك إلى اليقين بصحة ما دعاه ودعى إليه ....

وتقرر بين المسلمين كافة - إلا من لاثقة بعقلة ولابدينة - إن من قضايا الدين مالا يمكن الاعتقاد به إلا من طريق العقل ، كالعلم بوجود الله وبقدرته على إرسال الرسل ، وعلمه بما يوحى به إليهم وإرادته لاختصاصهم برسالته ... كما أجمعوا على أن الدين إن جاء بشئ قد يعلو على الفهم فلا يمكن أن يأتى بما يستحيل عند العقل." (١)

لأن العقل حجة الله على عباده ، والنور الذى اذا حبسه عن واحد منهم لم يحسب فى عداد المكلفين ، لقوله ﷺ " رفع القلم عن ثلاث : عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبى حتى يبلغ وعن المجنون حتى يفيق "

والبادى أن النائم يون مسلوب الارادة ، وعقله لايعمل بما يمكنه أن يكون محاسبا على تصرفاته ، أو يعتبر مسئولا عنها . كما أن النوم شقيق الموت وربما نستشهد له بقوله ﷺ " الناس نيام فإذا ماتوا انتهوا " وقوله تعالى " هو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار"

---

(١) المصدر السابق / ص٩٢٨ باختصار

كما أن الصبى ليس مسئولا عن تصرفاته بل وليه هو المسئول عنه كتى عند اخراج زكاة ماله ، ولو كان كامل العقل ماعد غير مسئول عن تصرفاته ، من ثم . فإن عقله لايحسب على النحو الذى يبلغ به مبلغ التكليف .

أضف الى ذلك حكم المجنون الذى فقد امكانية التفرقة بين الجمر والتمر وبين الخير والشر . كما أنه لايستطيع اكتساب معلومات ، وبالتالى فجنونه دليل على فقدانه العقل ، ومن ثم لايحاسب على تصرفاته متى كانت فى أوقات جنونه .

إذن جاء القرآن الكريم فحمل بين آياته العقيدة الايمانية الصحيحة ، وبين بجوارها العقائد المتوارثة الباطلة ، بحيث يمكن القول بأن القرآن الكريم فى آياته قد هدم العقائد الباطلة وأقام الصحيحة ، فاستفاد هذا النور السلف الصالح صحابة رسول الله ﷺ .

يقول أحد الباحثين : " اتخذ القرآن الكريم فى تقرير العقائد منهجا ذا وجهين :

- أحدهما : لهد م العقائد المتوارثة التى أضحت فى عالم المعتقد لاغذاء فيها للقلب والروح

- ثانيهما : لبناء العقيدة الصحيحة التى تملأ جوانب النفس البشرية بالايمان الصحيح ." (١)

وبعيدا عن التفصيلات التى جاء بها القرآن الكريم لبيان العقائد الباطلة ووجه البطلان فيها من كونها مخلوقة مصنوعة تغيب وتحضر ، كالقمر ، والنجوم ، والكواكب والنور ، والنار ، وغيرها مما بثه الله - تعالى - فى كونه ، ويتجه الناس إليها بالعبادة رغم أنها مخلوقة وليست خالقة انها معبودات باطلة مهما كان الشأن لها .

---

(١) الدكتور / محمد عبد الستار أحمد نصار / المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق والكلام مطبعة التقدم / سنه ١٩٧٩ ط أولى

الذى يعنينا هو أن هذا العصر القرآنى تميز بنزول القرآن الكريم فيه ووجود الرسول - ﷺ بينهم وقد تعاهدهم الوحى إياه، كل هذا جعل العقيدة الايمانية صافية من الأكدار بعيدة عن الشوائب ، أمينة عند القائلين بها ، أمانة عند المتلقين لها ، وكان هذا هو حال السلف الصالح فيما يتعلق بأمر العقيدة ، حتى أن الظواهر النقدية الفكرية لم تسجل اعتراض أحد من الصحابة أو تسائلا عن أمر من أمور تتعلق بذات الله - جل وعلاه - أو صفه من صفاته ، وماذلك ألا لانهم وجدوا القرآن الكريم قد غطى هذه الجوانب كلها .

من ثم : " رأينا القرآن يتجه أولا إلى اثبات أن للكون إلها خالقا ، وأن القول بالطبع لايقوم على حقيقة علمية مقررة ، وفى هذا رد على الدهرية ، ثم يتجه بعد ذلك الى قضية التوحيد ، وهذا رد على بقية الطوائف الأخرى ... حتى إذا ما وصل إلى هذا هذا الحد قرر منع المماثلة الحقيقية بين الخالق وجميع مخلوقاته ." (١)

وظل الحال على ذلك طويلا مستغرقا فترة وجود الحبيب المصطفى - ﷺ - بين ظهرانى القوم

وانبث هذا الأمر بين الصحابة فترة وجود الخليفة الأول الصديق - رضي الله عنه - ثم الخليفة الثانى حتى كان أمر الخليفة الثالث " ذى النورين " وحدثت الفتنة التى أودت بحياته وانتهت باستشهاده - رضي الله عنه - .

ومن ثم بدأ عصر جديد راحت العقول تتطلع إلى ما يعضد وجهات نظرها مع النص ، أو يجعلها آمنة من النظر فى الكتب الأخرى لأن هذه الكتب قد فسدت ولم تعد قادرة على القيام بواجبها ، ما أنها نسخت ملها شرعية وعقيدة وأخلاقا . يقول الامام " محمد عبده " : " مضى زمن النبى - ﷺ - وهو المرجع فى الحيرة ، والسراج

---

(١) المصدر السابق / صـ ٤٨٥

فى ظلمات الشبهة وقضى الخليفتان بعده ما قدر لهما من العمر فى مدافعه الأعداء وجمع كلمه الأولياء ، ولم يكن للناس من الفراغ ما يخلون فيه مع عقولهم ليبتلوها بالبحث فى معانى عقائدهم ، وما كان من أختلاف قليل رد إليهما ، وقضى الأمر فيه بحكمها .... وأغلب الخلاف كان فى فروع الأحكام لا فى أصول العقائد ، ثم كان الناس فى الزمنين يفهمون اشارات الكتاب ونصوصه ، يعتقدون بالتنزيه ، ويفوضون فيما يوهم التشبيه ولايذهبون وراء ما يفهمه ظاهر اللفظ ." (١)

ويرى الشيخ " رشيد رضا " : " أن السلف كانوا يأخذون فى الصفات الالهية بمعانى الألفاظ في اللغة مع تنزيهه تعالى عن مشابهة شئ من خلقه ، فكما أن ذاته ليست كغيرها من الذوات ، فكذلك صفاته وأفعاله ، ولايذهبون الى ماوراء ذلك من لوازم ظاهر اللفظ ، كالتشبيه والتحديد المأخوذ من إطلاقة فى الأصل على المخلوق ، فإن التنزية قد جعل المشاركة فى اللفظ أسمية أو جنسية لا شخصية ." (٢)

واستمر الحال على ذلك حتى كان أمر الخليفة الثالث على ما سلف بيانه ودخل فى ديار المسلمين أقوام ماكان لهم فيه إلا المطمع وتفادى الجزية والهرب من حد السيف الذى ظنوه موجها اليهم أو مرفوعا نحوهم أولا انفكاك عنهم منه .

فلما توالت الأحداث وانفرط عقد الخلافة الاسلامية ، وجد هؤلاء فرصتهم فى التشيع ، واختراع المذاهب التى لاسند لها والخروج من كل ناحية على الجماعة المسلمة متى كان ذلك ممكان ، ولو من باب تصفية الحسابات حتى رأيت غلاة بعض الشيعة يرفعون عليا- كرم الله وجهه - أوبعض ذريته إلى مقام الألوهية أو مايقرب منه .

---

(١) الامام محمد عبده / رسالة التوحيد / ص ١٠

(٢) المصدر السابق / هامش ص ١٠ تعليق الشيخ رشيد رضا

ومـن هنـا اتسـعت دائـرة الخلافـات المذهبيـة والفكريـة وكـانت الخلافـات السياسية هى الأصـل الـذى عرفـوا عليـه الحـانهم ، وان كـان المقصـود الثـابت الـذى يرمـون هدمـه هـو الجـانب الدينـى العقـدى يـدا للاسـلام ، وحسـدا لـه ، وحقـدا علـى أتباعه.

وكثرت فى جانب العقيدة الصافية هذه الخلافات حتى تحولت مـن عقيـدة صافيـة إلى خليـط مـن الأفكـار والآراء التـى لايقرهـا عقـل صحيـح ولاتقـف علـى ديـن صريح وكان هذا بداية لأمر جديد هو ظهور :-

١- الفرق التى تسمت بالدين ، وهى فى حقيقتها خارجة عليه ولكنها وجدته الاسم العنوانى الذى يثبتون افكارهم الضالة من خلاله .

٢- الأفكار التى تلمست خطاها باسم الدين ، وهى فى الحقيقة عليه من الدخيل لأنه لسند لها ولا نصف صحيح تقف عليه .

فمثلا : ظهرت المذاهب الفلسفية التى تشعبت الافكار الاغريقية والصينية والهندية وربما المصرية القديمة واتخذت لها أماكن فى العقيدة الاسلامية حتى صرنا نجد من يسمى الخـالق العظيـم باسـم العلـة مـرة ، وباسـم الجوهـر أخـرى ، ومـا العلـة والجوهر وأمثالها إلا من بقايا نتـاج الفكـر الفلسـفى سـواء فـى النتـاج الفلسـفى اليونانى أو الصينى أو الهندى ، أو غيرها .

٣- ظهـور آراء جديـدة باسـم الفلسـفة الدينيـة وإن كـانت فـى حقيقتهـا لاتمثـل إلا الفلسفة اليونانية بعد ترجمتها ، وبدأ الحديث عن الخلاء والملاء ، وأهل الكون ، والمادة التى تكون فيها والتاريخ الذى وجد فيه .

٤- ظهور الفرق المتناحرة التى راحت تتحدث باسم نفسـها متخذة أسـانيد واهيـة اضافهـا كل منهـم الى القـرآن الكريـم مـن حيـث فهمهـم الخـاطئ لـه ، أو اضافـة نصوص كاذبة الى السنة الصحيحة وعرفت الموضوعات من ثم وقف رجال العلم

بالقرآن الكريم والسنة المطهرة لهولاء وقفة أتت ثمارها حيث برز الصحابة والسلف الصالح وجها واحدا ، ويدا واحدة ، وقلبا واحدا ، وجيشا واحدا فى مواجهة كل من :-

(أ) الفرق الخارجة عن الاسلام بحكم تقريراتها للعقيدة الاسلامية مما ينتهى بها الى الكفر الصراح .

(ب) الزنادقة وأشياعهم ممن وقفوا معهم ، وساروا نفس الاتجاه الذى اليه يميلون .

(ج) السبئية ومن سار معهم

(د) الخليط من الموالى وكافة الفرق الأخرى

ثانيا : دور السلف فى تقرير العقيدة الايمانية :

من ثم وجد السلف الصالح أن هناك ضرورة ملحة تفرضها عليهم عقيدتهم الدينية هى : مقاومة هؤلاء ومنازلة أولئك ، والدفع بكل هؤلاء إلى أتون واحد ، فإما أن يفيئوا و إلى طريق الجادة يعودون ، وإلا فليعلموا أنهم على قواعد الشرع قد خرجوا ، ولدين الاسلام وظهراه اعتلوا

وكان المخلصون للدين الاسلامى يرون هذا الأمر وفتحترق نفوسهم من هذا الذى يرونه ماثلا أمامهم ، لكن ماذا هم فاعلون ؟

لقد كانوا يرفعون أكف الضراعة راجين أن يحفظ الله للاسلام بيضته بيضاء نقية ، كما تركها رسول الله ﷺ على المجة البيضاء وأن يرد عن حماه أعداءه ، فلما طال الدعاء ، وتأخر النداء هبوا إلى تقرير العقيدة الايمانية متخذين مسالك متعددة لكنها لم تخرج عندهم -كسلف- عن الأمور الثلاثة ونعنى بها :

(١) الدليل الفطرى

(٢) الدليل النقلى

(٢) الدليل الكونى على ما سوف نفصله فيما يلى :

ونحن أكثر ميلا لتسميتها أدلة أو مناهج ، أو دلائل مادام الغرض منها واحدا والنتائج المترتبة عليها هى المطلوبة ، لأن السلف الصالح كانوا أصحاب منهج عقلى فى حياتهم الخاصة ، يقوم هذا السلوك الشخصى على الاستفاده والاسترشاد بالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة .

الفصل الثالث

الدليل الفطرى

ما معنى فطرى ؟

تقول مصادر اللغة : مادة ف ط ر ومشتقاتها تأتى على معان شتى منها:

١- الشق والبيان ، ومنه قولهم : فطر ناب البعير فطرا : شق اللحم وطلع . (١)

٢- الايجاد من غير سابق مثال ، ومنه قولهم : فطر الله العالم بمعنى أوجده ابتداء . (٢)

٣- الانفطار : الانشقاق ومنه قوله تعالى : " إذا السماء أنفطرت " (٣) ومنه " التشقق والتصدع : فيقال : تفطر الثوب وتفطرت الأرض بالنبات (٤)

٤- أول ما يبدو ويطلق الفطر على طائفة من اللازهريات ، منها فصائل وأجناس وأنواع متعددة وتسمى فطريات ، منها ما يؤكل ، ومنها ماهو سام ، ومنها ماهو طفيلى على النبات وواحدته فطره .

٥- الخلقة التى يكون عليها وهى - الخلقه - يقال عليها الفطرة الخلقة التى يكون عليها كل موجود أول خلقه (٥) قبل الاضافة اليه والنقصان لقوله ﷺ : كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .

٦- الطبيعة السليمة : أى التى لم يخالطها عيب وهى فى اصطلاح الفلاسفة استعداد لاصابة الحكم و التمييز بين الحق والباطل وجمعها : فطر (٦) وفى القرآن الكريم قول الله تعالى - : " فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله " (٧)

---

(١) مختار الصحاح / مادة ف ط ر

(٢) أساس البلاغة / باب الفاء والطاء والراء

(٣) سورة الانفطار / الآية رقم ١

(٤) القاموس المحيط / باب الراء / فصل الفاء ومايثالثهما

(٥) المنجد فى اللغة والاعلام / باب الفاء / فصل الطاء

(٦) المعجم الوجيز باب الفاء والطاء

(٧) سورة الروم الآية ٣٠

٧- وتأتى بمعنى الموجود فى النفس قبل التجربة والتلقين فيقال : هذه الأفكار فطرية وهذه المبادى جبلية بمعنى أنها موجودة فى النفس ." (١) مخلوقة بها مفطورة عليها ، لم يداخلها شئ من أفكار الآخرين .

من هذا فأن مادة فطر ومشتقاتها تأتى على معان عدة منها :

أ- البيان والوضوح

ب- الايجاد على غير مثال

جـ- التشقق والتصدع

د- الجبلة والخلقة السليمة

ُمن ثم اتضح لنا أن الفطرة هى أول الشئ على مايخلقه الله سبحانه وتعالى من غير اضافة شئ إليه أو قطع شئ منه ، سواء فى الأشياء الجسيمة ، أو العقلية أو غيرها .

ويكون الدليل الفطرى معناه أنه الدليل الذى تقر الفطر السليمة والعقول النقية، من داخلها بأن الله موجود على طريقة الدليل الفطرى ، وهذا الدليل الفطرى منقسم إلى :

أ- الفطر السليمة

ب- العقول النقية

- أما عن الأول - الفطر السليمة - فيقول الامام الشهرستانى :" ما عددت هذه المسألة - اثبات وجود الله - من النظريات التى يقام عليها برهان ، فان الفطر السليمة الانسانية شهدت بضرورة فطرتها وبديهية فكرتها على صانع حكيم عالم قدير. " (٢) وهذه الفطرة منحة من الله تعالى ، حتى يتمكن الانسان من تحقيق،

---

(١) المرجع السابق (٢) الامام الشهرستانى نهاية الإقدام فى علم الكلام صـ١٢٥

مصالحه، ومافيه نفعه ، ودفع مايضره ، فهناك اذن عاملان يكمل احدهما الآخر عامل الفطرة وعامل الشريعة وعامل الفطرة هو الذى يجعل القلب منفتحا لتقبل العامل الثانى لأن ذلك من مقتضاها ، وأول ذلك معرفته سبحانه ، ومحبته وتأليهه والاقرار بربوبيته ، لأن معرفته تعالى بداية كل خير (١) "

وهذا الدليل الفطرى قاسم مشترك تشهد به الفطر السليمة وتقر من داخلها بضرورة الحاجة إليه ، وأن هذا الأمر الفطرى مقرر بين كافة الطوائف من البشر ، يقول أحد الباحثين : " ومسألة الاعتقاد بوجود الله تعالى لم يخل عنها فكر ، ولم يهملها شعب ، بل ربما تعددت الآلهة فى بعض الشعوب كرمز للقوة الغيبية التى يعتقدون فى وجودها ، ولاشك أن التوحيد هو الأصل الصحيح والتعدد عقيدة باطلة."(٢) ان جاز تسميتها عقيدة ، ولومن باب الاطلاق اللغوى فقط ، او المشترك اللفظى ، لأن لفظ الععقيدة قد يطلق ويراد به ، كعقيدة الكلام ليقال ، والعقيدة الصحيحة ، والاخرى الفاسدة الى غير ذلك من الفاظ العقيدة (٣)

إذن الاقرار بوجود الله مع توحيده هو طريق الفطرة السليمة ، وقد كان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - يمارسون هذا الجانب من الدليل الذى لم يختلف فيه الحفاة العراة عن ساكنى الأبراج والقصور .

بل إن هذا الدليل ربما تساوى فيه الجهلاء مع العلماء ، لأنه فى حد ذاته دليل فطرى أودعته الفطرة الالهية وعرف باسم فى النفوس : " كما أن الفطرة تعترف تلقائيا بوجود الله قال تعالى :" وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ." (٤)

---

(١) الدكتور / محمد السيد الجليند - قضية الخير والشر فى الفكر الاسلامى صـ٢٣٢ ط٢ الحلبى .
(٢) دكتور / محمد حسينى موسى محمد / الايمان بالغيب وأثره على الفكر الاسلامى / دكتوراه مخطوطة بمكتبة كلية أصول - القاهرة صـ٧٦ سنة ١٩٩٥
(٣) دكتور / محمد حسينى موسى الغزالى - حفيف الافنان بين الملل والنحل والاديان صـ ٦٣ ومابعدها
(٤) سورة الأعراف / ١٧٢

ومـن الملاحـظ عـبر التـاريخ أن الأنبيـاء جميعـا كـانوا يـأتون لبيـان صحيـح الاعتقاد فى وجود الله إذا أمكن هذا التعبير بمعنى أن آدم - عليه السلام - أتى بـالتوحيد ثـم انحرفت الانسـانية مـن بعده ، لكن إلى أى شئ أنحرفت ؟ ومـا الـذى دعاهـا لهـذا الانحراف ؟

أنهـا لم تنحرف إلى أنكـار الله ، ولكنهـا أنحرفـت عـن التوحيـد إلى التعـدد "(١) والذى دفعها الى الانحراف هو وجود من يطفون فى انفسهم ملكات تعلوا بهم على غيرهم ، وترتفع بهم عن مقام النبوة ، وتميز بين الوحى والعقل وتجعل العقل أعلى قد راين الوحى ، ثم ينساقون هذا الادعـاء وتنتهى المسألة الى الانحـراف عـن العقيدة الصحيحة الى الريف والضلال وقد قرر الامام الرازى هذا الجانب الفطرى حين قال : " عقول الخلـق قـاصرة عن معرفـة الله تعـالى - لما كـان كـل مـا تصـوره النفـس فـالله بخلافه ، فلم يتمكن العقل والنفس من الأشارة إلى الحقيقة معلومة بأن حقيقة الالـه هى هذه الحقيقة .

ويروى عـن سـهل بـن عبـدالله أنـه سـئل عـن ذات الله تعـالى فقـال : ذات الله موصوفه بالعلم غير مدركه بالاحاطه ، وقد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ودلهم عليه بآياته والقلوب تعرفه والعقول لاتدركه" (٢)

كما أن دليل الفطرة : " يؤثره كثير على غيره من الأدلة ويجعله أولاها وأولها ، فى ترصيف التصنيف ، وهذا المقام مقام حقائق لاخيالات الطرائف والطرائف بل لأن الشعور بوجود الله والاذعان بخالق قادر فوق المادة محيط من وراء الطبيعة أمر غريزى فى الأنسان مفطور عليه لاتغيره ريب المرتابين ولاتزلزله شكوك المشككين."(٣)

---

(١) الدكتور / رؤوف شلبى / منهج القرآن الكريم فى أثبات العقيدة الاسلامية صـ ١٩ ط أولى سنة ١٩٧٧ م / ١٣٩٧ هـ مكتبة الأزهر

(٢) الامام الرازى / عجائب القرآن صـ ١٤٤ تحقيق عبد القادر أحمد عطا / ط دار الكتب الاسلامية سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٦ م

(٣) الشيخ محمد جمال الدين القاسمى / كتاب دلائل التوحيد / صـ ٢٣ ،٢٤

وهذا الجانب من الدليل له ظواهر كثيرة فى القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى " وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه ." (١) وقوله تعالى " قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفرلكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى ." (٢)

وهذا الدليل بهذه الظواهر لايمكن تجاهله ، بل إن الاقرار به يوشك أن يكون مكررا فى القرآن الكريم كثيرا من ذلك قوله تعالى : " فطرة الله التى فطر الناس عليها " (٣) وقوله تعالى " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ."(٤) وقوله تعالى " ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ثم إذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ."(٥)

وهذا الجانب من الدليل الفطرى يعنى على تفهمه الحديث الذى ورد مرفوعا ، ان الله تعالى خلق العباد فى معرفته فأحتالهم الشياطين عنها فما بعثت الرسل إلا للتذكير بتوحيد الفطرة ، وتطهيره عن تسويلات الشيطان بالاستدلالات النظرية والدلائل العقلية وبها توجهت التكاليف على العقلاء ." (٦)

ثانيا : يمكن القول بأن الأطفال يهربون مما يشعرهم بالألم أو يتوقعونه منه او يقف بهم عند شاطئ الحرمان او يوقعهم عليه . أما أن يهربوا من الضار فقالت عبارة فيها تدع من التسامح ، ولو حصرت فى مفهوم ما يجلب اليهم الحزن أو الألم ، ربما كانت مقبولة .

---

(١) سورة الاسراء / ٦٧ (٢) سورة ابراهيم / ١٠

(٣) سورة الروم / ٣٠ (٤) سورة / لقمان / ٢٥

(٥) سورة النحل / ٥٣ / ٥٤

(٦) الشيخ محمد جمال الدين القاسمى / دلائل التوحيد صـ ٢٦

ثالثا : قوله بأن الفطرة ليس لديها استعداد لقبول قضايا الألوهية لا نوافقه عليها أن بدليل أن القرآن الكريم ذكر أن معرفته تعالى فطرية قال تعالى :

" ولئن سألتهم من خلقهم لقيولن الله " (١) ولاشك أنها الفطره التى ركزها الله فيهم " من قوته على معرفة الايمان " (٢) به تعالى ، والأقرار بوحدانيته . ولو فصل العبارة ، وبين انه يقصد قضايا الألوهية من حيث اثبات الذات وعلاقتها بالصفات وسائر المباحث التى شغلت عقول المتكلمين لكانت المسألة مقبوله

قال الشيخ الصبياوى " ولئن سألتهم اى العابدين مع ادعاء الشريك ليقولن الله" (٣) الذى خلقهم وتقربه فطرهم ، وتؤمن به عقولهم ، ويعيش فى وجداناتهم .

وقال الشيخ الحمل فى معنى الأية " ولئن سألتهم أى العابدين مع ادعائهم الشريك . من خلقهم أى العابدين والمعبودين معا ليقولن الله ، وانما يجيبون بذلك لتعذر الافكار لغايه بكلا منه اذن القول بأن الفطر لاتستوعب قضايا الألوهية عبارة تحتاج الى نوع من التخصيص ، والا وصلت المسألة دور هدم الدليل الفطرى كلمة ، وفى هذا تقليل من شأن السلف ، ونزع لجهدهم - فى قضايا العقيدة - من دائرة التراث الى الاسلام ، ولاترضى هذا الموقف منهم.

رابعا : يبدو أن صاحب الرأى شعر بضغط فكرى عليه فعاد ليقرر ان الله - تعالى - قوفطر عبارة على معرفة كل حق ، ومحبة الخير ، وأول ذلك معرفته سبحانه ومحبته ، وتأليهه والاقرار بربوبيته " (٥) وما أظن قضايا الألوهية بالمعنى العام الا ماذكرة هو ، أما ما يقصده من الغوامض ، والمسائل المتنازع عليها - من حيث الفهم

---

(١) سورة الزخرف الأية ٨٧ وتمام الأية " ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون ...

(٢) المفردات فى غريب القرآن صـ٣٨٢

(٣) حاشية العلاقة الصاوى على تفسير الحلالين ج ٤ صـ ٥٩

(٤) الفتوحات الالهية بتوضيح الجلالين للدقائق الخفيه ج ٤ صـ٩٨

(٥) دكتور / محمد السيد الحلنيد - قضية الخير والشر صـ٢٣٢ .

فلا أظن ذلك من الامور الفطرية ، وانما هو من قبيل أفهام النظار ، ومواطن الجدل ، ولسنا نقصد شيئا من ذلك ، فضلا عن الاقرار بأن السلف الصالح استخدموه كأدلة لهم.

هذا الجانب من الدليل على هذا النحو يكون قد استبان ، أما عن اشتراك الكل فيه فهذا مما يقربه الواقع المعيشى من حياة ، فمن الناس إذا سقط على الأرض خرج من لسانه لفظ الجلالة - الله - وإذا قيل له قول فيه عجب أنشق من لسانه لفظ الجلالة فقال متعجبا - الله - وبالتالى فهذا الجانب بهذا الوضوح لايدع المرء يضيف إليه أكثر مما ذكره

يرى أحد الباحثين أن الفطرة عبارة عن قوة تحصيل المنافع والهرب من الضار وان الطفل يولد مزودا بها بدليل أنه يجب النافع ويهرب من الضار بحسب كمال التميز والضعف ، وان ادراكه لهذه الاشياء يأخذ طبيعه التدرج حتى يقبل الى الحد الذى " ليس فى الفطرة استعداد ولقبوله ، كمعرفه الغيبيات ، وقضايا الألوهية فتتوقف الفطرة عن قبول ذلك ، مالم تهتدبما جاءت به الرسل الذين بعثوا ولست معه فيما ذهب اليه ، أما لماذ ؟ فلما يلى:

أولا : استشهادة بأن الأطفال يهربون من الالضار ويهربون للنافع أمر غير مسلم ، بدليل تجرع الأطفال السمم - اذا وصلت أيديهم اليه - رغم أنه قاتل ، وقد سمعوا به من والديهم والأقربين لهم .

- الجانب الثانى : العقول النقية :

عقيدة الألوهية كانت : " منذ بدء الخليقة أحدى الشواغل العويصه التى هزت أعماق العقل البشرى وراح يسأل : من أين أتى العالم . " [٢] وإلى أين نتهى ... وما مصيره ؟ وهل بعده عوامل أخرى ، أو حياة مشابهة لما سبق؟

---

(١) الدكتور / محمد السيد الجليند - قضية الخير والشر فى الفكر الاسلامى صـ ٢٣٩

(٢) الدكتور / محمد غلاب / مشكلة الألوهية صـ ١٦ / جماعة أحياء الفلسفة / ط أولى عيسى الحلبى سنة ١٩٤٧

وكلما كان هذا السؤال يراود العقل النقى كان العقل يرجع به إلى أن نشأة الكون التى لايمكن إلا أن تكون عن خالق كامل الاراده له من الجلال والكمال مالا ينطبق على أحد سواه يقول أحد الباحثين : " ان مسألة وجود الله فطرية وعقلية معا ، فهى فطرية فى الايمان بها ، وعقلية فى الاستدلال عليها ولو اجمالا ، وإنما جاء الزيغ والانحراف من الملاحدة الماديين لفساد فطرهم حينما حصروا الموجودات فى المادة وحدها ." (١) وتجاهلوا أن خلف المادة أشياء كثيرة وكلها غير مادية كالروح ، والنفس ، والعقل ، والله ، والخلود ، والحب ، والبغض وكلها موجودات لايمكن انكارها أو اهمالها .

وربما يقال : هل يستطيع العقل البشرى التعرف على كنه الذات الالهية أو بمعنى آخر : هل يمكن للعقل البشرى الوصول فى معرفة الله من حيث ذات الله وحقيقتة التى لايعلمها الا الله ، وهل يمكن للعقل مشاركة الله تعالى فى معرفة الذات الالهية على الحقيقة ؟

والجواب ذكره الامام الغزالى حينما قال :" لايعرف الله سبحانه وتعالى كنه معرفته إلا الله سبحانه وتعالى ." (٢) لأنه الذى يعلم نفسه ويعلم غيره ، وهو وحده علام الغيوب ، ولايعلمه حق العلم أحد سواه.

إذن العقل النقى يقر بضرورة وجود الله بجانب الفطرة الراقية بحيث يمكن القول بأن الفطر النقية والعقول السليمة تقر بوجود الله وتؤمن به وتتمسك ولذا رأينا الشيخ الشهرستانى يقرر هذا الأمر بوضوح فيقول : " تعطيل العالم عن الصانع العالم القادر الحكيم لست أراها مقالة لأحد ، ولا أعرف عليه صاحب مقاله إلا ما

---

(١) دكتور / محمد حسينى موسى محمد / الايمان بالغيب وأثره على الفكر الاسلامى / صـ ١٦

(٢) الامام الغزالى / الجام العوام عن علم الكلام / صـ ٩٤ تحقيق د رياض مصطفى منشورات دار الحكمة / بيروت / سنه ١٩٨٦

نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية ." (١) بل ان فهم الدهرية للمسألة لايمكن ان يكون صريحا فى انكار وجود الله تعالى لأن تولهم بالدهر المجى والمغنى لايمكن أن يكون على اطلاقة من المراد بالدهر من الايام مثلا او الاشياء المجهولة

وبهذا نكون قد عرضنا للدليل الفطرى فى جزأية - الفطرة السليمة والعقول النقية - بل ان الدراسات القائمة لتعطيك عبارات تأخذ بنا إلى أقوال هى الحكمة بعينها : وهى فى ذات الوقت دليل على نقاء الفطرة ، وسلامة العقل . وصدق الوجدان ، وكلها تحمل الادلة على وجود البارى جل علاه

فمثلا : هناك قول سائر مؤداه : " متى غاب الله حتى يستدل عليه ؟ ومتى خفى حتى يبحث عنه ؟

ولئن كانت هذه العبارة تنسب إلى الامام ابن عطاء الله إلا أنها فى واقعها تصور حقيقة ثابتة وهى : أن وجود الله أمر فطرى لاشك فى ذلك ، وأن الايمان به أمر عقلى لاشك فى ذلك أيضا فإذا روعى الجانبان فقد اكتمل الدليل وانتصبت أجزؤاه ، يقول الدكتور / " عوض الله حجازى " : " طريق الفطرة هو الطريق الذى يقرر أن الايمان بوجود خالق ومبدع لهذا الكونأمر جلى واضح لايحتاج إلى دليل وأنه مفطور فى النفس الانسانية ." (٢)

---

(١) الامام الشهرستانى / نهاية الاقدام / صـ ١٢٤

(٢) الدكتور / عوض الله جاد حجازى / دراسات فى العقيدة الاسلامية صـ ٢٧ دار الطباعة المحمدية / طبعة أولى / سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م

الفصل الرابـع

الدليل النـقلى

هو ماكانت مقدماته نقلية مقتبسة من القرآن الكريم أو الحديث الشريف كلها أو بعضها ،وقد تكون مقدماته النقلية بالنص عليها أو بالاقتباس من النقل نفسه ، وهذا الدليل هو المعول عليه عند أصحاب القول بالدليل النقلى ، ومن ثم يمكن تقسيم هذا الدليل إلى أنواع ثلاثة :-

الاول : ماكانت مقدماته كلها منصوص عليها فى القرآن الكريم .

الثانى : ماكانت مقدماته كلها مقتبسة من القرآن الكريم .

الثالث : ماكانت مقدماته مقتبسة أو منصوص عليها من القرآن الكريم أو الحديث الشريف .

إذ من المعروف أن السلف الصالح - رضوان الله عليهم - " حينما كانوا يقررون العقيدة الدينية ماكانوا يسوقون عليها من أدلة إلا الدليل النقلى وامرار النص على ظاهرة من غير تشبيه يوقع فى التجسيم أو تأويل يؤدى إلى التعطيل " وانما كان همهم الاول فى تقرير العقيدة الدينية الرجوع بها الى النصوص الشرعية بحيث لايخرج دليل للسلف عن نص الشرع ،ومن ثم قيل انهم : " طفقوا يقررون العقائد الدينية من واقع النصوص الشرعية " .[(١)]

اذن هذا الدليل على ماهو عليه دليل نقلى ، ومثله كثير من البراهين التى تنطوى تحته ، وان سميت بأسماء مختلفة ، فمثلا : قول الله تعالى " قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كلى شيئ قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل ويخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب [(٢)] وقوله تعالى " وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة " [(٤)]

(١) دكتور / محمد حسينى موسى محمد / الايمان بالغيب وأثره على الفكر الاسلامى / صـ١٩٠

(٢) فضيلة الاستاذ الدكتور / حسن محرم الحوينى / المنهج فى اثبات الصانع بين السلفية والمتكلمين صـ٢٠ دار الطباعة المحمدية ط أولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .

(٣) سورة آل عمران / الايتان٢٦ / ٢٧ (٤) سورة السجدة / ٩

وقوله تعالى " جعل لكم من انفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا " (١) وقوله تعالى " وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج " (٢)

فهذه الآيات وأمثالها دليل نقلى مباشر اثبات على وجود الله تعالى ، أما قوله تعالى " لوكان فيهما ألهة إلا الله لفسدتا " (٣) وقوله تعالى " قل لوكان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا " (٤) فان الأولى منهما تؤكد أن الله واحد ، والثانية تؤكد نفى الشريك والشبيه عن الله سبحانه وتعالى . وهو من باب اثبات الصفات ، وبيان الكمالات والتنزيهات .

اذن هذا الدليل النقلى كان من أدلة السلف الصالح التى تقع بين الأدلة وهو مجهودهم الفكرى وعمهلم الخاص فى جانب الإستدلال على العقيدة الدينية فى مجال الألوهية حتى أن المراقبين للنشاط الفكرى الدينى يرونهم قد استخدموا الدليل النقلى بشكل واسع جدا ، وقد كانت تلك طبيعة السلف الصالح بحيث يمكن القول بأن السلف الصالح وقفوا عند النصوص الدينية يستدلون بها على وجود الله دون أن ينال من هذا الدليل منال . ولم تضعف أدلتهم الأخرى ، ولكن كان الثقلى أوسعها انتشارا ، واكثرها تأثيرا .

وربما تسأل ما مصدرها هذه القوة التى بدت فى أدلة السلف ؟ والجواب بين . إنها القوة النقلية فالسلف شادوا ادلتهم على النقل المنزل ، فهو القول الصادق . " ومن أصدق من الله قيلا " كما أنهم حفلوا به ، وراحوا يعرضونه فى أجزائه مرة ، وفى كلياته أخرى .

---

(١) سورة الشورى /١١

(٢) سورة / ق /٧

(٣) سورة الأنبياء /٢٢.

(٤) سورة الاسراء /٤٢

كما أن هذا الدليل الفطرى لدى السلف نال عنايه الدارسين والباحثين وكانت تلك العناية منبثة فى الأعوام لاتقف عند حد ما، كما انها راحت تترى مع توالى السنين ، وظلت ادلة السلف قوية لم يصبها أى نوع من الخلل او الوهن الذى أصاب ادلة غيرهم ممن اقاموها على العقل وحده ، بحيث كانت محل أخذ ورد ، وبناء وهدم ولم تفلح عمليات الترميم فى النهوض بها ، او امكانية افادتها على قواعد قويه ، وهذا كله لم يعرض لأدلة السلف على ما سلف بيانه.

الفصل الخامس

الدليل الكونى القرآنى

موقف شيخ الاسلام : ابن القيم الجوزية

استدل شيخ الاسلام - رحمه الله على وجود الله تعالى بأدلة نقلية فى مجملها عقلية فى مبناها على النحو الذى سلف تصويره لدى غيره ممن يعتمدون الدليل النقلى العقلى . فنراه يقرر نفس الدليل ، ويعتبره العمدة عنده ، فحيث يستدل بعجائب صنع المخلوقات على وجود الله تعالى ، فهى عجيبة فى تواردها وتنوعها وحسنة فى خلقتها وبديع صنعتها ، وكل هذا وأمثاله يدل على وجود الله تعالى .

ثم نتدب - رحمه الله - من أنواع المخلوقات بعضها فيتحدث عن كل نوع منها مبينا ما فيه من منافع وفوائد ، وما معه من روعة واتقان ، وما يصاحبه من احكام ولنضرب لذلك بعض أمثلة لما ذكر شيخ الاسلام ابن القيم رحمه الله ، وجاء فى الكتب صحت نسبتها اليه .

١- استدلاله بخلق الانسان

يرى ابن القيم أن الانسان من الكون ، وأن للانسان مبدأ لخلقه ووسطا لحياته ونهاية لها ، وأن فى الانسان نفسا ، وله بدنا ، وأنه يفكر بعقل ، وينظر بعين ، ويتحول من نطفة الى مراحل متعددة ، وهذا كله من أعظم الدلائل على وجود الله ونستشهد لذلك بالعديد من الآيات القرآنية كشواهد له من ذلك قوله تعالى :" ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلنا فى قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون"(١)
ثم يقول :

" وهذا كثير فى القرآن الكريم - يدعو العبد الى النظر والفكر فى مبدأ خلقه ووسطه وآخره ، اذ نفسه وخلقه من اعظم الدلائل على خالقه وفاطره ، وأقرب الاشياء إلى الانسان نفسه ، وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله فانتقضى الاعمار فى الوقوف على بعضه ، وهو غافل عنه معرض عن التفكير فيه .

---

(١) سورة المرسلات الآيات ٢٠ -٢٣

ولو فكر فى نفسه لزجره- ما يعلم من عجائب خلقها- عن كفره " قتل الانسان ما أكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء انشره "(١). وقد نقل الكثير من العجائب الموجودة فى المخلوقات (٢). راجيا أن ينال منها ونصل به إلى تقديم أدلة جديدة على وجود الله رب العالمين .

٢- استدلاله بخلق العالم جملة

وفيه يستدل بخلق العالم والنظام والعناية التى تسرى فيه ، ويصور المسألة بدولاب على نهر ، وحديقة فيها ثمار ، وعليها من يقوم برعايتها بدء من أشجارها حتى ثمارها التى يقسمها عند الجذاذ على حسب المخارج لينتهى إلى ضرورة اثبات ان لها خالقا قادرا عالما حكيما وهو الله جل علاه يقول :

" فسل المعطل الحاجة ، ما تقول فى دولاب دائر على نهر قد احكمت آلاته ، واحكم تركيبه ، وقدرت أدواته أحسن تقدير وأبلغه ، بحيث لايرى الناظر فيه خللا فى مادته ولافى صورته وقد جعل على حديقة عظيمة فيها من كل انواع الثمار والزروع يسقيها حاجتها .

وفى تلك الحديقة من يلم شعثها ويحسن مراعاتها وتعهدها ، والقيام بجميع مصالحها فلا تختل منها شئ ولايتلف ثمارها ، ثم يقسم قيمتها عند الجذاذ (٣) على سائر المخارج بحسب حاجاتهم وضروراتهم فيقسم لكل صنف منهم مايلق به ، ويقسم هكذا على الدوام .

---

(١) سورة عبس الآيات ١٧-٢٢

(٢) الامام ابن القيم مفتاح دار السعادة ص٢٠٤ وما بعدها .

(٣) الجذاذ - جمع الثمار ، والمخارج هى مصارف الزكاة ، ثم بعد ذلك يتم التخزين بالشكل الذى يصون الانتاج ولايتلفه .

أترى هذا اتفاقا بلا صانع ولاختار ولامدبر، بل أتفق وجود ذلك الدولاب وتلك الحديقة، وكل ذلك اتفاق من غير فاعل ولاقيم ولامدبر، أفترى ما يقول لك عقلك فى ذلك لو كان؟[١] وهكذا استدل ابن القيم بخلق بالكون والمخلوقات الموجودة فيه على ضرورة وجود الخالق جل علاه. وهو منهج النظر فى الكون المنظور.

٣- استدلاله بالشمس والقمر والكواكب.

يسلك ابن القيم مسلك الاستدلال بالمخلوقات العلوية كاجزاء للعالم الذى سبق الاستدلال به جمعه على وجود الله يقول: " سل الجاريات يسرا من الكواكب والشمس والقمر من الذى خلقها وأحسن خلقها، ورفع مكانها، وزين بها قبة العالم وفاوت بين اشكالها ومقاديرها الى ان يقول:

" وأنت اذا تأملت أحوال هذه الكواكب وجدتها تدل على المعاد كما تدل على المبدأ أو تدل على وجود الخالق وصفات كماله، وربوبيته وحكمته ووحدانتيه أعظم دلالة[٢] اذن هذا الدليل الكونى يؤدى دورة على أكمل وجه فى الاستدلال على وجود الله جل علاه.

٤- استدلاله بخلق الارض وسعتها وكبر حجمهتا على ضرورة وجود الله تعالى

استدل ابن القيم -رحمه الله - بالارض على وجود الله من عدة نواح منها.

- من ناحية كبر حجمها
- من ناحية كونها فراشا للانسان والحيوان، مع قبولها للحياة عليها وامكانية تذليلها والعمل فيها بما يرضى الله، ومنها الزراعة.
- من ناحية أخرى امكانية الاستقرار عليها
- من كونها تتحمل الاجسام الثقيلة طبقا لوجود نوع من التماسك فيها

---

(١) مفتاح دار السعادة صـ٢٢٣.

(٢) ابن القيم - التبيان فى أقسام القرآن صـ٢٨٣ حجازى سنة ١٣٥٢هـ

كما أنها تحمل نوعا من الليونة بحيث يمكن النبش على وجهها ، والزراعة فيها ولوكانت صلبة لما أمكن للانسان أن يزرعها ولوكانت رخوة لما كانت لديها القدرة على احتمال الاجساد الثقيلة ثم ان الارض فيها الانهار وفيها المحيطات ، وعليها الاشجار والثمار وفيها الكنوز والاحجار ، والانسان يستخدمها ومازال وسيظل لاتنقضى منافعها ولاتنتهى غرائبها ، الايدل ذلك على وجود اللطيف الخبير ؟؟.

يقول ابن القيم

لو سألت الارض من فرق أجزاءها هذا التفريق؟

- من خصص كل قطعة منها بما خصها به ، ومن ألقى رواسيها ؟ وفتح فيها السبل؟ وأخرج منها الماء والمرعى ؟

من بارك فيها . وقدر فيها أقواها ، وأنشأ فيها حيوانها ونباتها ، ومن يبدأ الخلق فيها ثم يعيده اليها ، ثم يخرجه منها ، ومن ذلك مسالكها ، ووسع أنهارها ، وأنبت أشجارها ، وأخرج ثمارها .

ومن بسطها وفرشها ودحاها ؟ ومن جعل بينها وبين الشمس والقمر هذه المسافة لصلحتها ولينتفع بها ؟ لقالت كل ذلك صنع الرب الحكيم العليم سبحانه وتعالى عمايصفون "(١)

وهكذا قدم ابن القيم العديد من الأمثلة كشواهد حية على اثبات وجود الخالق جل علاه . فما لسنا بحاجة اليه الان (٢) ولكنى قصدت بيان ان هذا الدليل الكونى

---

(١) التبيان فى أقسام القرآن صـ٢٨٩ .

(٢) من اراد المزيد من استدلال ابن اليم ، فله مراجعة كل من :

التبيان فى أقسام القرآن ، شفاء العليل ، مفتاح دار السعادة الكافية فى الانتصار للفرقة الناجية ، الجواب الكافى ، مدارج السالكين وذلك للتعرف على أرائه فى مواجهة المعطلة ، والزامهم اثبات وجود الله تعالى بكل ماله من صفات الجلال والجمال والكمال والاكرام .

استدل به كثير من الباحثين قديما وحديثا والكل فى ذلك سواء السلف الصالح وأهل السنة والجماعة ، بل وغيرهما مما لانذكره خشية الاطالة .

موقف المعاصرين من هذا الدليل

الاستاذ الشيخ . محمود ابودقيقه

سلك رحمه الله هذا المسلك فتحدث عن كل دليل من الادله الكونيه على سبيل الاستقلال واخر وكل نوع منها على حده فقال:

أسرد لك عدة أمور من الكائنات التى تشاهدها ببصرك مع بيان شئ من منافها ومزاياها، الحيوان ، والنبات ،و الهواء ،والرياح ، والسحاب ،المطر ، والرعد ، والبرق ، والأرض ومافيها من الجبال والبحار [1] " .

ثم بعد ذلك تحدث عنها جميعا كل واحد على التفصيل وبين أنها جميعا وفرادى تدل على ضرورة اثبات وجود الله تعالى [2] كأدلة كونيه يمكن تفهمها من أسرار الكون .

وكأنى به رحمه الله - وقد فتح باب الاستدلال على وجود الله تعالى بخواص الماده وتركيبها كما تحدث عن خواص النبات والحيوان وكم هبط من المخلوقات العلويه وصعد من المخلوقات السلفيه مستخدما الطريقتين كلا منهما مستقلة .

وتحدث عن خواصها جميعا- بقدر ما أتيح له - مما يدعو الى القول بأن علماء المسلمين لم يتوقفوا فى الاستدلال على وجود الله ولن يتوقفوا بل ستظل جهودهم قائمة ، فى محاولة بحث الأدلة القائمة .

---

(١) الشيخ / محمود ابو دقيقة - القول السديد فى علم التوحيد صـ١٩٩ تحقيق د. عوض الله حجازى

(٢) المصدر السابق وقد شغل الصفحات ١٩٩-٢٠٨

كما أظهروا أنه بإمكانهم تقديم أدلة آخرى قد تكون من المستجدات العلمية ، او تكون من الغيب الذى وضعت اسبابه بين الناس وهذا أثر من أثار الايمان بالعقيدة الغيبيه فى قضية الالوهية على الفكر الاسلامى بوجه عام ، وعلى المفكرين المهتمين ببحث تلك المسألة على وجه خاص .

يقول الشيخ محمود أبودقيقة مفرقا بين الدليل العقلى والدليل الكونى "لاستدلال على وجود صانع للكائنات طريقان:

الأول : الاستدلال بالبراهين التى هى اليقينيات المنتجة لليقين وهى المعروفة فى المنطق بالبرهان الذى هو قول مؤلف من مقدمات يقينية لانتاج يقين وهو المسمى بالدليل العقلى .

الثانى : الاستدلال بذوات الاجسام من علوية وسفلية وصفاتها واختصاص بعضها بمزايا لم توجد فى البعض الآخر مع الاشتراك فى الجسيمة وهو اقناعى

وهذا الدليل قد أرشد اليه القرآن الكريم فى عدة آيات مثل قوله تعالى " إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون[1] ".

وهذا الطريق الثانى أنفع للعامة وأوقع فى النفوس لما فى الأدلة العقلية من فتح باب الشبهات ."[2] بل ان الدليل النقلى أسلم ، حيث لايلجأ صاحبه الى الادلة العقليه . ولايقع فى الشبهات التى ربما لايسلم منها لو دخل اليها . أما العقلى فلا

---

(١) سورة البقرة الآية ١٦٤

(٢) فضيلة الشيخ / محمود أبودقيقة - القول السديد فى علم التوحيد - تحقيق فضيلة الاستاذ الدكتور / عوض الله جاد حجازى ص١٦٤.

شك أنه حكم ، متى تمكن صاحبه من التعرف عليه والدفاع عنه لذا قيل دليل النقل أسلم ، ودليل العقل أحكم .

وهذا الدليل الكونى قائم على النظر فى الكون مع محاولة الربط بين نصوص النقل والمخلوقات المنبثة فى الكون والغاية المنشودة من هذه المخلوقات على النحو الذى يستدل به على وجود الله تعالى .

الاستاذ الدكتور. محمد عبدالله دراز

تحدث رحمه الله- فى العصر الحاضر ، حديث ابن القيم فى الزمان الماضى ، واستدل بالادله الكونيه على اثبات وجود الله تعالى ، وناقش مسألة غايه فى الجدة ، ألاوهى الطبيعة ، وهل يمكن لها أن تخلق نفسها ، أو أن تخلق بعض اجزائها وبين أن هذه الفكرة مخالفة للضرورة العقلية .

وأكد ان هذه الكائنات كلها مستنده فى وجودها الى الله تعالى ، ثم أنتهى الى ان الدليل الكونى يرشد الى ضرورة اثبات وجود الله الخالق جل علاه ، بما له من صفات الجلال والكمال والاكرام.

يقول : قدر فى ذهنك بيتا منسق البنيان ، فاخر الاثاث والرياش ، قائما على جبل مرتفع تكتنفه غابه كثيفه ، وقدران رجلا جاء الى هذا البيت ، فلم يجد فيه ولاحوله ديارا [1] ولانافخ نار ، فحدثته نفسه بأنه عسى ان تكون صخور الجبل قد تناثر بعضها، ثم تجمع ماتناثر منها ليأخذ شكل هذا القصر البديع بمافيه من مخادع ، ومقاصير وابهاء ومرافق .

---

(١) الديار- هو الفرد - يقال مابالدار: أحد المعجم الوجيز صـ٢٢٨ مادة دور ومعناه لم يجد فى الدار احدا ، ولا حوله ، حتى يظن ان الذى بناه ، او يحافظ عليه ، فضلا عن ان يقوم بتنظيفه ، والعنايه به ، فهل يعقل أن يوجد هذا البيت من نفسه .

وان تكون اشجار الغابه قد تشققت بنفسها الواحا وتركبت ابوابا وسررا، ومقاعد ومناضد ، ثم اخذ كل منها مكانه فيه ، وأن تكون خيوط النبات واصواف الحيوان وأوباره قد تحولت بنفسها انسجه موشاة .

ثم تقطعت طنافس ووثائر وزرابى فانبثت فى حجراته واستقرت على ارائكه ، وأن المصابيح جعلت تهوى اليه بنفسها من كل مكان فنشبت فى سقفه زرافات ووحدانا . الست تحكم ان هذا حلم نائم اوحديث خرافه . قد اصيب صاحبه باختلاط فى عقله(١) ؟

وبعد ان عرض صورة لما يمكن تخيله فى الذهن ، راح يجرى عمليه القياس بناء على الاستحاله العقليه ، وان الطبيعه لاتخلق نفسها ، ولاتحافظ على تلك الخلقه ، ولايمكنها ان تقوم على الناحية التى هى عليها ، من نظام واختراع ، وعنايه ، من غير أن تسند فى وجودها الى آله عليم ، عاقل حكيم له كل صفات الجلال والكمال والإكرام.

اذن استطاع الفكر الاسلامى القيام فى الاستدلال على وجود الله تعالى بالعديد من الطرق الاستدلاليه ، والتى تؤكد ان اثبات وجود الله تعالى ضرورة والدكتور دراز ممن بحثوا فى مدى استخدام الادلة الكونيه ، على النحو الذى سلكه ابن القيم - رحمه - ومن سار نفس الطريق ، وهو التأمل فى النقل المنزل ، وانعام النظر فى الكون المرئى ، فى الكتاب المقروء، فيقول : " فما أظنك بقصر : السماء سقفه ، والارض قراره . والجبال أعمدته والنبات زينته والشمس والقمر والنجوم مصابيحه ، أيكون ، فى حكم العقل أهون شأنا من ذلك البيت الصغير ؟!!

---

(١) الدكتور - محمد عبدالله دراز - الدين بحوث ممهدة صـــ١١١.

أولا يكون أحق بلفت النظر الى : بارئى مصور، حى قيوم ، خلق فسوى ، وقدر فهدى . أليس الاعجاب ببدائع الملكوت أحق بان يتحول الى مناجاة مبدعة والافضاء اليه بعبارات التبجيل العميق ، والتقديس البليغ ، وهل العبادة فى جوهرها وليها الا ذلك؟!!

اذن الدليل الكونى – سواء الكائنات من حيث هى أفراد أو جماعات او من حيث النظام العام فيها – صار مضطردا فى ضرورة اثبات وجود الله ، علما بأن مقدماته قد تستغل بها الفطره مباشرة كما قال الاعرابى قديما

" البعره تدل على البعير، واثر القدم يدل على المسير، أفسماء ذات أبراج ، وارض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، أفلا يدل ذلك كله على اللطيف الخبير"(١)

ولذا اعتبره الاستاذ عباس العقاد :" أقوى البراهين اقناعا وأحراها أن تبطل القول بقيام الكون على المادة العمياء دون غيرها ."(٢) غير أنه جعل هذا الدليل مقسمى الى أجزاء فقال:

أولا : برهان ظهور الحياة فى المادة:

قال تعالى : " يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى " وقال تعالى " وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة "

ووجه الاستدلال فى الآية الأولى : هو أن الحياة فى الميت لم تكن موجودة فاخراج حى من ميت دليل قوى على وجود الله تعالى – وفى الآية الثانية :

يفقد المرء آلة السمع والبصر كما يفقد فؤاده ، لأن الخلية الأولى التى يتكون منها الانسان ليس لها أذن تسمع ولا عين تبصر ولا فؤاد من خشية الله يرتعش فكون الجنين يولد مذودا بهذه كلها ، فهذا من الأدلة على وجود الله كدليل كونى قرآنى معا .

---

(١) المصدر نفسه ص ١١٢

(٢) الاستاذ / عباس محمود العقاد – الله كتاب فى نشأة العقيدة الإلهية ص٢٩٩. ط دار المعارف

ثانيا : برهان التناسل بين الأحياء لدوام بقاء الحياة :

قال تعالى " جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا " وقال تعالى " فأنبتنا فيها من كل زوج بهيج " ووجه الاستدلال بالآية الأولى : هو أن الحياة تقوم وتمتد بين عنصرين يكمل أحدهما الآخر وبخاصة العناصر الثنائية.

فمثلا : أمر التناسل بين الكائنات الحية كالانسان والحيوان : تجد القرآن قد ساق هذا الدليل الكونى وأنه سبحانه وتعالى جعلهم أزواجا ذكرا وأنثى - من بنى البشر ومنح كل طرف منهما امكانيات تفارق امكانيات الآخر ، فإذا وضعت امكانيات الطرفين استمرت الحياة فى تسلسه.

فلو لم يجعل الله فى بنى البشر الذكور يتم تلقيح الإناث ، ولو جعل الله بنى البشر ذكورا فكيف يؤتى لهم بأرحام يحملون فيها ويلدون من خلالها.

ومن ثم قال العلماء المعمليون أن الانسان الأول مكون من خلية أولى مركبة هذه الخلية من جزءين آحاديين هما :

١- الخلية الذكرية من الرجل .

٢-والخلية الأنثوية من المرأة وإذا لم يتم تلقيح الأنثى من الذكر لايتم الحمل ، وقد علم أن البويضة الأنثوية تبتلع الخلية الذكرية ، كما أنها تتأثر فيها ، وبالتالى فكل من الطرفين محتاج الى الآخر حتما.

كما أن المشهور هو : " أن الدورة الشهرية للانثى نظام معقد يتم التحكم فيه كلية بواسطة الهرمونات الجنسية المختلفة والتى تفرز فى غدة الجسم السفلى وفى المبيضين ، وهذه الهرمونات تعمل على احداث التغيرات الوظيفية المختلفة فى الجهاز التناسلى للانثى تبعا لدورة خاصة ثابتة لاتتغير "(١).

---

(١) الدكتور/ محمد مصطفى الفولى - بعض مظاهر التقدم فى العلوم البيولوجية ص١٦٦ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥م

اذن لابد لكل من الطرفين أن يتلاقى مع الآخر، وهذا من الأدلة التى تجرى فى الانسان وفى الحيوانات ولابد منها فى الحيوان وبنى البشر حفاظا على التناسل، واستمرار الحياة. التى أمر الله أعمارها، على النحو على النحو الذى هيأ الاسباب له.

وهكذا كان الدليل الكونى القرآنى يقع من السلف الصالح موقع القبول بل والحب له والتشيع، وآية ذلك أن هذا الدليل قد تم شرح أجزائه بتوسع كبير نذكر طرفا من هذا الدليل- التوسع الذى احاط بهذا الدليل.

١- فى الحيوان :

اذا نظرت الى العالم الحيوانى فى مبدأ انشائه ونظرت الى كيفية تكونه لكفاك فى الجزم بأن له فاعلا مختارا واجب الوجود حكيما فى صنعه وتدبيره أما كيف ذلك فهو أن الحيوان اذا تناول الطعام النقطه لسانه، ثم اسلمه للآلات القائمة فى فمه سحقته ومزج باللعاب ليساعد على الهضم ثم دفعه الى معدته وأمعائه ليحصل له تمام الهضم، بسبب الحرارة والعصارات المفرزة.

ومتى تم الهضم تستخلص المادة المغذية وتنتقل الى أعضاء سوى المعدة والأمعاء فتؤدى هذه الأعضاء وظيفتها فينشأ عن ذلك تطور هذه المادة المغذية الى أطوار مختلفة حتى تلبس صورة الدم[١]".

وهذا الدليل الماثل فى الحيوان ليس بغريب عن الفطر النقية ولايبعد على العقول التى تتناوله، ولذا كان السلف الصالح آخذين به فى مجال الاستدلال على العقيدة الالهية.

---

(١) الشيخ / محمود أبودقيقة - القول السديد ص٢٠٠ تحقيق أ.د/عوض الله حجازى.

٢- اختلاف الليل والنهار

كل من الليل والنهار يتوارد على مايتوارد عليه الآخر ، فالليل يحل محل النهار وكذلك النهار مضئ يجلى الأرض بنوره على حين يغشيها الليل بظلامه وهذا التوارد المقصود هو حلول أحدهما محل الآخر فإنه يعطى انطباعا قويا بأن حلول أحدهما وإزاحة الآخر ليس من ذاته ، وانما من خارج عنه .

فهذا التوارد أعنى ذهاب أحدهما ومجئ الآخر مكانه دون الوقف أو تغير آية دالة على وجود الله سبحانه وتعالى وتوحيده وعظيم قدرته ، كما أن اختلافهما بالزيادة والنقصان دون أن يحصل لهذه الزيادة أو ذلك النقصان أدنى تغير على مر السنين والأعوام لأقوى دليل على المراد(١)

اذ الليل فى الصيف تقصر ساعاته ، بينما هى فى الشتاء تقصر ساعاته وبينما هى فى الصيف اطول ، وهكذا اختلاف الليل والنهار فى الحرارة والرطوبة ، وتكون السحب والشبورة ، وحرارة الشمس الشديدة ، وبروده النهار القاسية ، كل ذلك من الأدلة على وجود الله تعالى .

٣- تطور الخلية الميكروسكوبية

معظم الكائنات الحية تنشأ عن خلية ميكروسكوبية فريدة ، وهذه الخلية sell على أثر خروجها تبدأ دورة الحياة ولكن هذه الخلية الفريدة " هذه النقطة الصغيرة الشفافة التى تشبه الظل تحتوى فى نفسها على جرثومة الحياة وبها القدرة على توزيع هذه الحياة على كل كائن حى كبيرا كان أو صغيرا وعلى مطابقة كل مخلوق لبيئته حيثما يمكن وجود الحياة من قاع المحيط الى السماء (٢)

---

(١) الدكتور / سيدأحمد رمضان المسير - إلزام القرآن للماديين والمليين ص٢٢ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة سنة ١٩٧٩ ط أولى .

(٢) أ. كريس مورسون - العلم يدعون اللايمان - ترجمة الاستاذ/ محمود صالح الفلكى ص٩٦ ،٩١ م النهضة المصرية سنة ١٩٧٧م

ولكن هذه البويضة أو هذه الخلية الميكروسكوبية لايمكنها التطور من نفسها كما أن مجموع هذه الخلايا لايمكنها أن تخلق نفسها أو أن تؤثر فى غيرها إلا بمؤثر من خارج ": والحق أنها تابعة له والحياة تدفع الى الامام بأنيته [١]."

وأكثر العلماء نشاطا وأحدهم علما وذكاء يقرر أنه لايدرى كيف بدأت الحياة ولاكيف جاءت الى الأرض ولكن الكل :" يؤمن بأنها جاءت كتعبير عن القوة الإلهية وبأنها ليست مادة [٢] ." لأن هذه القوة الالهية لو كانت مادة لعجزت عن انتاج مادة وانما هى أعلى من كل المواد وتباينها من كل النواحى ، انها قوة الالة الظاهر القادر جل علاه.

٤- النفس الإنسانية :

هذه النفس التى تتحرك فى صدر صاحبها ولايدرى عنها إلا ما جاء به النقل الشريف وكذلك الروح مع وجود كل منهما فى جسم الانسان لان كل انسان له روحه الخاصة به ، ونفسه الميزة له ومع هذا فهو لايمكنه معرفتها على الحقيقة وماذلك إلا أنها فى مجملها غيب يرشد الى موجود قديم أزلى أبدى هو الله - تعالى - [٣].

" واية ذلك أن العالم السويسرى الذى جاء بالناس وهم يحتضرون ووضعهم على ميزان دقيق ،وعندما أسلموا الروح وجد أن الجسد قد فقد من وزنه بضعة جرامات لحظة خروج الروح، فأعلن أن الروح لها وزن و أن لها أكيان ماديا وان كان لايزيد على جرامات ،نقول: ان هذا غير صحيح ، لأن هذه الجرامات قد تكون هى وزن الهواء الذى خرج من الرئتين ولم يدخل غيره ، أو تكون بسبب توقف سريان الدم بجسم

---

(١) المصدر السابق.

(٢) العلم يدعو للايمان صـ٩٧

(٣) فضيلة الشيخ - محمد متولى الشعراوى الأدلة المادية على وجود الله تعالى صـ٤٠ ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة ١٩٩٠/١٩٩١.

إذن الروح وهى موجودة فى جسمك غيب عنك فأنت لاتعرف ما هى؟ ولا أين هى؟ وهذا كله يصدق عليه قول الله تعالى " وفى أنفسكم أفلا تبصرون "(١)

٥- مسألة خلق الانسان من تراب :

قال تعالى " الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون " (٢)

وربما كان هذا الاتجاه القرآنى فى الحديث عن مراحل خلق الانسان مما يستدل به على حجة صدق النبى محمد ﷺ فى ادعائه النبوة والرسالة ، اذ كيف يكون وهو الأمى مُتحدثا بامور علمية ماتزال الابحاث حولها جارية ، والنتائج تكشف عنها المعامل فى استمياء ، رغم أن أشار اليها ، وتحدث عنها منذ سنوات مضت وقرون خلت ، ومايزال حديث متجددا بواكب ظروف كل عصر.

كما يستدل به على وجود الله تعالى ، وقدرته وعلمة وارادته ، وثبت لله تعالى سائر الكمالات وهذا الاتجاه المعملى صار سائدا فى كثير من البلدان التى يحتكم الى لغه المعمل ، ولاشك أن طريق جيه بعيد عن التعقيد اللفظى الذى عمدا الى حذف المغالات ، ومحاولة تهميشها جانبا.

وهذا المنحى تؤيده العلوم المعملية " اذ أن الطب يقرر أن الانسان خلق من نطفة والنطفة متولدة من الدم بواسطة الاثنين الرجل والمرأة ، والذكر والانثى والدم متكون من المادة اللبنية الناتجة من الكيلوس المتكون من الكيموس الناتج من تناول الأغذية فى المعدة والأغذية ناتجة من التراب والماء (٣) ."

---

(١) سورة الذاريات الآية ٢١

(٢) سورة السجدة الآيات ٧،٨،٩

(٣) الاستاذ/ على فكرى / القرآن ينبوع العلوم والعرفان جا / صـ١٨ ط أولى عيسى الحلبى سنة ١٩٤٣م

وهذه الآية ترشدنا الى دليل كونى مراقب فيه أصل خلقه الانسان ،وقرآنى قائم على قول الله تعالى ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون " أى ثم إذا أنتم بشر أحياء تنتشرون فى الأرض وتعملون للسعى على معاشكم بعد أن خلق الله سبحانه وتعالى أصلكم من تراب .

" والخلاصة أن للانسان أصلين وهما : التراب والماء لأن التراب لاينبت إلا بالماء ففى النبات الذى هو أصل غذاء الانسان تراب وماء ، فصار التراب أصلا أوليا، والماء أصلا ثانويا لجميع حياته وانباته وهذا مصداق قوله تعالى " خلقكم من تراب[١]" ولا تعارض هذه النتائج بقوله تعالى : وجعلنا من الماء كل شئ حى .

وهذا الدليل الكونى القرآنى من الأدلة القوية على وجود الله تعالى بل هو من أقواها

٦- ثروات باطن الأرض وتنوعها :

تنوع ثروات الأرض يمثل دليلا كونيا على وجود الله ، وذلك لأن هذا الدليل يتكون من ثلاثة نقاط كلها تمثل بعض ثروات باطن الأرض : "

١- قبور الموتى

٢- وجود الحديد والنحاس والمواد الأخرى التى من هذا القبيل ، وتمثل مادة صناعية أولية.

٣- المواد السائلة كالفاز والبترول ومشتقاتهما والتمايز بين هذه الأنواع الثلاثة دليل قوى على وجود الله - تعالى - باعتباره من الأدلة الكونية المنبثة مظاهرها فى الكون كله "[٢] اذ خواصهما فيها نوع من الاشتراك ، وفيها ما يقع به التمايز،

---

(١) الاستاذ/ على فكرى / القرآن ينبوع العلوم والعرفان / ج / صـ١٨

(٢) دكتور / محمد حسينى موسى محمد / حبو الوليد فى علم التوحيد / على شرح المواقف / مطبعة شروق ١٩٩٦

ولايمكن ان يكون اشتراكهما أو تمايزهما من ذاتهما ، وانما لابد من خالق قوى يجعل هذا التمايز من الادلة على وجوده جل علاه .

٧- الجبال :

الجبال دليل كونى قرآنى على وجود الله - تعالى - لأن الجبال فى ظاهرها أوتاد تحرس الأرض من أن تميد لكن الجبال فى حد ذاتها " تنمو على قممها مراتع المخلصين ويهجع اليها الأنبياء والمرسلون ،بحيث تكون على أسرارهم أمينة ، وعلى أجسادهم حارسة مقيمة ، تمنع الأرض بهم عن الاضطراب ، فهم للأرض كالقلب."(١)

على أن مسألة الجبال ووجودها فى أماكن محددة تسبح لله وتتحرك مع الأرض لايجعل المرء يتصورها ثابتة جامدة لاحركة فيها ولاحس وانما هى على العكس من ذلك مسبحة قال تعالى " تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا."(٢)

ولئن كان الناس قد استطاعوا صنع بعض جبال الا ان ما صنعوه يفتقد الى اهم خاصية فيه وهى وجود العناصر التى لابد منها فى الجبل من حيث هو جبل وهذا مما يفتقد فى الجبال الصناعية " على أنه مما يلفت الأفهام الى مسألة الجبال هو أن الناس بفعل التقدم العلمى قد استطاعوا تمزيق الجبال وتفتيت شرايينها ونقل رملها ثم إن الجبال الصناعية ، ماهى الا كثبان من الرمال باطنها معروف ، وظاهرها مكشوف ، وأقرب مايمكن وصفها به ، هو أنها كثبان رملية ، أما الجبال التى صنعها الله تعالى ففيها خواص عديدة جيولوجيا، وجغرافيا ، وفيها من طبيعة المناخ مايجعلها علامة مميزة على أنها من صنع الخالق القادر لامن صنع المخلوق العاجز.

---

(١) المصدر السابق صـ٥١

(٢) سورة الإسراء الآية ٤٤

وحديدها وكافة ما يتعلق بها حتى أنه لم يعد بالامكان القول بأن الجبال ماتزال أوتادا وهناك سؤال مؤداه : الا تحل الجبال الصناعية محال الجبال الطبيعية سواء فى رمالها وتكويناتها ، وكافة مافيها من علامات مميزة سهولها ووديانها و الجواب :

إن هذه افتراضات لم تقم على قواعد مضطرده لأن محل النزاع فى صنع الجبال لا فى نقلها وبالتالى فلا يمكن أن يقال أنهم صنعوا الجبال وإنما نقلوا الجبال ، من ثم فان أفق الجبال يعتبر من أقوى الأدلة على أثبات وجود الله - سبحانه وتعالى (١)

ثم ان الجبال الطبيعيه فيها كهوف ، وغيران ، فيها معادن وكنوز ، وربما اعتصم بباطنها بركان ما تزال بطنه هادئة ، وفى ذات الوقت فان هذه الجبال الطبيعيه بضخامة الحجم، وثقل الوزن ونفاسة الباطن ، وكثرة الثروات عكس الجبال الصناعية ، فانها فارغة من كل هذا انها مجرد كثبان رملية لاغير ، فثبت أن الجبال الطبيعية من الأدلة على وجود الله تعالى ، وأنه وحده الذى خلقها ، ولايمكن لغيرها أن يتماثل معها .

هانحن قد سرنا مع السلف الصالح وطوقنا أعناقنا بما تركوه لنا فى ناحيه اثبات وجود الله - تعالى - ولعل ما ذكر يغنى عن مثيلاته وعلى الله قصد السبيل .

الاستدلال ببداية الكون ونهايته

من الأدلة على وجود الله تعالى بداية العالم ونهايته ، لان العالم لم يكن موجودا وانما كان فى حيز العدم ، ثم خلقه الله تعالى فكان وجوده محتاجا لخالق عظيم ، هو الله تعالى فهل ينطبق ذلك على أمرنهايته بحيث تكون نهاية العالم كبدايته دليلا من أدلة وجود الله تعالى ويكون من المستجدات العلمية فى هذا الباب .

---

(١) دكتور / محمد حسينى موسى محمد / حبو الوليد فى علم التوحيد صـ ٥٢

ربما عن لصاحب عقل ان يتساءل ، اذا كان تحديد عمر الكون - من حيث البدايه أقصد كون العالم قد خلق مسبوقا بعدم أى أنه لم يكن موجودا ثم أوجده الله تعالى على النحو الذى ندرك بعض من أمور الغيب على فهل يجرى ذلك على امر نهاية الكون أيضا، باعتبار أن أمر نهاية الكون مرهون بالبحث العلمى ، وقد يثبت العلم امكانية تدمير الحياه على ظهر الأرض بواسطة التقدم التكنولوجى .

واذا انتهت الحياة التى نراها امامنا فهل معنى ذلك ان الكون كله قد انتهى ، وأن نهايته تكون رهن العلم المعاصر ، واذا ثبت أن الدول الصناعيه الكبرى تملك من وسائل التدمير ما يغطى الكره الارضيه ، فهل يمكن لتلك الدول ان تكتب نهاية الحياة على وجه الكون الذى نعيش فيه ، وأن ذلك متوقف على اشتعال نيران الحرب بين هذه الدول المالكه لتلك الوسائل التدميرية ، والقادره على إنهاء الحياة وتدوين تاريخ لنهاية الكون :

والجواب على هذا التساؤل من وجوه.

الوجه الأول. أن نهاية الكون من الغيب المستقبل ، الذى لايعلمه الا الله جل علاه ودليلنا قوله تعالى " ان الله عنده علم الساعه وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير. [١] وبالتالى فلايعلم أحد متى تكون نهاية الكون إلا الله جل علاه ، وذلك من أدلة وجوده سبحانه وتعالى .

الوجه الثانى . أن التساؤل قائم على فرض وجود رغبه ملحة فى تخلص كافة العقلاء من الحياة ، والواقع العلمى والمعاش يشهدان بخلافه اذ الرغبة فى البقاء قائم مشترك بين كافه الكائنات الحية .

---

(١) سورة لقمان الأية ٣٤.

فما بالك بالانسان الذى يملك عقلا، وعواطف ، ووجدانات ، ثم ماذا انت قائل اذا كان هذا الذى يملك وسائل التدمير غير مؤمن برب العالمين ؟

فسواء كان لادينيا أو كان يهوديا لايرى فى دنياه الا الامل الوحيد له ، والنعمة الدائمه ، التى لاوجود لها بالنسبة له الا فى عالم الحياة الواقع الذى يعيشه الأمه ، حتما ستراه يحافظ على حياته وحياة الاخرين .

وقد وصف الله الله اليهود بأنهم من أشد الناس جبنا ، وتعلقا بالحياة فى أدنى مستوياتها انهم أشد الناس حرصا على الحياة ايا كانت الحياة مهما كانت رخيصة او فيها الكثير من التدنى ويقاسمهم هذا الأمل كل من كان على شاكلتهم .

ان رغبته فى الحياة تكون أشد ، ومن ثم فهو إن حاول تدمير غيره ، ورأى أن هذا التدمير ، ربما امتد أثره اليه ، تراجع عنه لا حبا فى الغير ، وانما حرصا على حياته التى يخشى عليها ودليلنا قوله تعالى " ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنه "(١)

فاذا علمنا أن أسباب التدمير الشاملة اليوم فى أيدى اليهود والمشركين ، أدركنا أن محاولتهم تدمير الحياه على ظهر الأرض لن تكون ممكنه من ناحيه الوقوع الفعلى وان كانت أسبابها موجوده بالفعل فى أيديهم .

وهذا سر من اسرار التوازن فى الحياة فاذا فرضنا أن القوة التدميرية تحولت الى أيدى المسلمين ، فقد وقعت فى يد أمينة . لن تقبل على تخريب ما أمر الله بإعماره ، وهو الكون والحياه ، وبالتالى فلا يتحقق تدمير الكون بل ستتحول تلك القدرة المدمرة الى طاقة خلابة منتجة ، تعمر ولاتدمر ، وتحافظ على الحياة حسب ما أمر الله تعالى .

---

(١) سورة البقرة الآية ٩٦

الوجه الثالث. أن التساؤل قائم على أمر خاص ، وهو على فرض وقوعه - تدمير الحياه على ظهر الارض فقط - فلا يعنى هذا نهاية الكون ، اذ الارض انما تمثل جزء من الكون ولاتمثله كله ، كما أن نسبه اليابس فى الكرة الارضية تساوى ٢٩٪ بينما تمثل نسبة المياه ٧١٪ وبالتالى فاذا تمكنت وسائل التدمير من الحاقه باليابس فلن تتمكن من ايصاله الى الكائنات الحيه بالماء ، ومن ثم فلا تكتب الحروب نهايه الكون .

وانما يكون التدمير قد تم لأوجه النشاط الحيوى فى اليابس وليس فى الارض كلها لان الارض تشمل اليابس والماء معا فتدمير الكائنات فى اليابس ليس معناه تدمير الحياة فى الكون كله ، فضلا عن الارض وحدها

الوجه الرابع. أن نهايه الحياه على سطح الارض يابسها ومائها ، لايعنى انتهاء الكون . لأن لنهايه الكون علامات ، كطلوع الشمس من مغربها ، ورفع القرآن االكريم من الصدور ، وقبض أرواح المؤمنين ، الى غير ذلك من علامات الساعه ، كما أن من علاماتها العامه ، تكوير الشمس ، وارتخاء السماء ، وتسحير الماء ، وتحريك الجبال . وكل ذلك من علامات الساعه .

وليس بامكان العلم - مهما تقدم - أن ينال منها شيئا فثبت أن نهاية الكون كبدايته ، أمر لايعلمه الا الله سبحانه وتعالى وهو من أدلة وجود الله تعالى ، وهو غيب مطلق. والايمان به واجب يرفع من قدر المؤمن عند ربه ، ويجعله يلاقيه فى كل ما افترض عليه باخلاص الوجه له ، وأسلام الامر لله وحده ، وخفض جناح الذل لأوامره .

ورفع قناع الكبر عن نواهيه حتى لايقع فيها ، من ثم فيرضى بما أمره تنفيذا بعد اعتقاد تكليف ، وينتهى عما نهاه عنه ، تخفيفا ورحمة وتأليفا ، ومعرفه هذه النهايه مردودة الى النقل الصحيح ، ولا مكان للعقل فيها الا التصور المنضبط بالنقل المنزل ، فإن حاول العقل ايجاد مكان له فيها على سبيل الاستقلال ، جاءت احكامه ناقصه وقضاياه جائرة.

الوجه الخامس . أنه على فرض امكانيه تدمير الكون كله من قبل الوسائل التدميرية التى يتمكن المخلوقون من انتاجها ومعرفة أسبابها باقدار الله لهم ، فإن الساعه المحدده لنهاية هذا البناء الكونى الارضى والسماوى لايعلمها الا الله جل علاه ، بل هى من غيوباته لأنا اذا افترضنا اللحظة التى ستبدأ ، فيها الوسائل التدميرية عملها ، فإنه لايمكن معرفه اللحظة التى ستتم فيها النهاية الكاملة .

كما أنه لن يكون هناك واحد من المخلوقين ، على قيد الحياه ، فيقدر النهايه من الناحيه العملية وليس هذا فقط ، بل انا نلاحظ أن كافه وسائل التسجيل والتمشيط ، والبحث والتحرى ، عن كائنات حيه موجوده أمر غير وارد وعقلا،

لأنها - الوسائل - ممكنه وداخله ضمن دوائر الكون وبالتالى فسوف يصيبها من التدمير ما يصيب أجزاء الكون الأخرى ، التى كانت ميدانا للتدمير والتخريب اذن سقوطها وتدميرها سيكون أسبق من غيرها ، فمن ذا الذى سيخبر بما جرى فيها او تم لها .

كما أنها ستعمل تحت ظروف علمية ، وتحتاج لصيانة فنيه ، وعقول بشريه تديرها وتقرأ ما تمكنت من تسجيله . وذلك كله لن يكون موجودا و انما معدوما من

ثم لزم الاقرار بأن أمر نهايه الكون موكول الى علم الله تعالى ، العالم بالغيب والشهادة وغيرهما.

ولعل النص المنزل قد أماط اللثام وكشف الموقف بوضوح ، فقال تعالى : "يسألونك عن الساعه أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لايجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السماوات والارض لاتأتيكم الا بغته يسألونك كأنك حفى عنها قل أنما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لايعلمون قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ولوكنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما منى السوء ان انا الانذير وبشير لقوم يؤمنون "(١)

والاحاديث النبويه بعد الايات القرآنيه فى الاستدلال على نهايه الكون كثيرة اذن غايه ما ينشده المؤمن هو التركيز على ان قضية الغيب محسومه باعتبارها فى علم الله تعالى وان تناولها لابد ان يكون من خلال النص المنزل ، وان تأملها من جانب العقل يجب ان يكون تحت سلطان هذا التنزيل فتبارك الله رب العالمين .

كما بات من المؤكد احتياج نهاية الكون للا له القوى من صفات الجلال والكمال كما يتنزه به عن كل المخلوقات وان بدايه العالم محتاجه الى خالق عظيم هو الله رب العالمين الذى اوجده من العدم بداية ونهاية وما بين البداية والنهاية . وذلك مما دل عليه القرآن الكريم ، وصحيح السنه النبويه المطهرة ، ومما وفقنا للرجوع اليه ، اللهم اجعلنا من الملتزمين بهما ، المتمسكين - بما فيهما انك نعم المولى ونعم النصير.

(١) سورة الأعراف الأيتان ١٨٧-١٨٨

سؤال فى غير موضع

فى صباح الاثنين ١٤/١٢/١٩٩٢ كنت فى طريقى لتوصيل ابنى - بدر الدين - حضانه الشبان المسلمين ، وكان الجو باردا ، والوقت مبكرا ، وكانت تحيط بى ظروف شديدة ، فإذ انى بشاب طويل اللحية ، ضخم الجسم بيده أوراق يقرأ فيها تحيط به علامات الاستغراب حتى كأنه لم يوجد فى العالم الذى نعيش فيه أو هو ليس منه .

شاركنى دخول الحضانة والاغراض مختلفه ، فبعد أن سلمت ابنى لدرسة الفصل ، وجدت أحدا المترددين عليها - وكان يعرفنى - ينادينى قائلا:-

ان معنا شخص يريد أن يسأل فى أمور الدين ، وبالذات فى العقيدة ، ولسنا من أهل هذا الفن الدقيق انه يسأل عن توحيد الربوبيه ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الذات والصفات ، ونحن لاعلم لنا بما يقول . فنرجو التعرف على اسئلته والاجابة عليها ، حتى لانضل نحن بما يقول هو.

ورغم شدة الظرف المحيط بى ، الا أنى اعتمدت على الله ، ورجوته الستر والنجاة فسألت محدثى.

- من هو ذلكم الشخص ؟

- ها هو الذى تراه.

فعلا هو الذى كان يدخل معى منذ قليل باب الحضانة ، وكنت ظننته ولى أمر تلميذ اوصاحب حاجه تخص طفلا من اطفال الحضانة ، كما هو شأن المترددين عليها لكن بأن من المؤكد -فيما بعد- أن الأغراض مختلفة .

نظر السائل الى- ويبدو انه يقايس الناس بالاجساد - فاذا الاجساد متخالفه كما يبدو انه يؤمن بمقوله ، كل عجل كبير فيه مخ كبير ، وما اكثر ما يوقع القياس اصحابه اذا كانوا من هذا النوع النشاذ- من ثم سألنى.

- هل أنت الذى ستجيب على سؤالى.

وكان سؤاله يحمل نوعا من الاستهجان أو الاستهتار بى ، لكن ماذا أنا فاعل وجسمى صغير ، وحجمى كذلك قليل ولادخل لى فى هذا ولاذاك .

- سأحاول.

- قل لى : يا أخ وبدأ بالقاء اسئلة.

س١ : هل يستطيع ربك أن يخرجنى من ملكه ، فإن استطاع ثبت ان هناك ملكا أخر غير ملكه ، وان عجز فكيف يكون قادرا"

س٢- هل تتعلق قدرة الله بالمستحيل ، فإن تعلقت به كان المستحيل موجودا ، لأنها من خصائص القدرة ، وان لم تتعلق كانت عاجزة ، والشأن فيها أن تكون قادره على وجه العموم ، فاذا ثبت عجزها فمابالك بمن نسبت اليه ، أو وصف بها ، والحق انى وجدت فى صدرى رغبه لضربه على وجهه ، ولو معى درة ابن الخطاب ، واملك سلطانه ، لواليت الضرب على رأسه حتى يذهب الذى فيه كما فعل ابن الخطاب مع صبيغ بن عسيل ، الشاك فى دينه ، والذى كان همه اثاره الشبهات للناس حتى يضلهم ، وضربه عمر على راسه حتى تاب من ذنبه ، وخرج من شكه.

لم أفكر فى مجادلته ، وانما قمت بالاجابه المباشرة .

- **اما عن السؤال الأول** وهو ، هل يستطيع ربك أن يخرجنى من ملكه. فهذا أمر سهل جدا ، نعم يمكنه تعالى أن يخرجك من ملكه الذى تعرفه أنت ، الى ملكه الذى يعلمه هو ، فالمسأله تتعلق عندك بمفهوم ملكه تعالى الذى فى ذهنك انت ، اما مفهوم ملكه

تعالى الذى فى علمه ، ولم يطلع عليه أحدا من خلقه ، فذلك ملكه جل علاه ومن السهل أن يخرجك من ملكه الذى تعلمه الى ملكه الذى لا تعلمه .

وتلك مسألة محسومة ، لأنها من أمور الغيب التى لايعلمها الا الله جل وعلاه.

قال تعالى" عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا. ليعلم أن قد ابلغوا رسالات ربهم وأحاط بمالديهم واحصى كل شئ عددا[١]

ثم ان وصف القادر جل وعلاه بأنه قادر، يسقط عنه كل مايقارب أى لون من ألوان العجز ، والا فكيف يكون قادرا وعاجزا فى وقت واحد ، ان هذا مما يمكن وصف المخلوق به متى تنوعت الجهات ، أما وصف القادر جل علاه به فذلك أمر غير وارد أصلا.ولا يترتب على تعدد أملاكه جل وعلا أيه استحاله ، لاعقلية ، ولاشرعية ولاعادية

اما عن السؤال الثانى : هل تتعلق قدرة الله بالمستحيل ؟ الخ

فالجواب أن قدرة الله تتعلق بالواجب ايجادا ، والمستحيل اعداما، والممكن - الجائز- ايجادا واعداما ، والتالى فان قدرة الله على المستحيل امر قائم شرعا ، ولايلزم من هذا التعلق اظهارا المستحيل الى الوجود الذى نحكم نحن عليه به

بل ان المستحيل موجود فى علم الله الازلى ، وتعلقت به القدرة الالهية على سبيل الاعدام، لا الايجاد ، ومن المشهور ان الاعدام مقدرة فى علم الله الازلى وعليه فان قدرة الله تتعلق بالمستحيل اعداما ، لاوجودا ، ولايلزم من ذلك قلب حقيقة ما.

اما الزعم بان قدرة الله لاتتعلق بالمستحيل ، فمعناه عدم تعلقها بالمستحيل ابرازا ، على النحو الذى نحكم نحن به ، وانما تتعلق به تقديرا فى العدم ، اما لماذا؟

---

(١) سورة الجن الأيات ٢٦/٢٨

فلأن تعلق القدرة الالهيه بالمستحيل اعداما انما هو مفهوم عدم التناهى فى كمالات الله تعالى ، فانها " لاتتناهى بمعنى انها لاتنحصر"[(١)] ولست مع القائلين بان القدرة الالهية لو تعلقت بالمستحيل لكان قلبا للحقائق ، لأنهم خصوا القدرة الالهيه بلزوم الأثر لها وضرورة ان يكون الموجود بعد عدم مطلقا .

كالمستحيل فإنه لايقبل أن يكون أثرا لهما - القدرة والارادة والا لزم قلب الحقائق برجوع المستحيل عين الجائز[(٢)] وذلك لأن تصورنا للمستحيل هو الذى نحكم عليه بأعرافنا القاصرة التى هى وسائل لنا ، وفى صدورنا التى تتمكن منها .

ثم ان التسميات التى توافقنا عليها . انما هى توافقية ، أو تواضعية وليست شرعية كما أنه فى الشرعيات لامستحيل على الله أبدا وما نحسبه مستحيلا فى العادة خرقته المعجزات ، بل كل خوارق العادات .

مما سلف . اتضح أن مسألة وجود الله تعالى وأثبات تلك المسألة قد نالت عناية السلف ، كما حظيت باهتمام المفكرين المسلمين ، وكانت لهم فيها جهود موفقة ماتزال أصداؤها تتردد ، وقضاياها ، فى اقناع الخصوم ، وتوضيح العقيدة الاسلامية للنفوس ، وتثبيتها فى القلوب ، فتبارك الله أحسن الخالقين . القائل " صنع الله الذى أتقن كل شئ"

---

(١) الشيخ محمد بن عرفه الدسوقى - حاشيه على شرح ام ابراهيم هـ٨

(٢) الشيخ محمد بن يوسف السنوسى - شرح ام البراهين بهامش الحاشية صـ١٠٣

سؤال فى غير محل

ربما يظن البعض - من قليلى الفهم- أن اثبات وجود الله تعالى موضع شك لأنها لو لم تكن موضع شك ما أقيمت حولها الأدلة للاثبات فإن الثابت لايحتاج الى أدلة ، ولو كان وجوده تعالى فطريا ما احتاج الى استدلال فطرى ، أو عقلى فضلا عن الادلة النقلية .

كما أن الفطرة لو أقرت بوجوده ما كانت بحاجة الى هذا التأكيد المستمر على أنه تعالى موجود ، وأن وجوده مما تقر به العقول السليمة . وإلا كان ضربا من التكرار إذ كيف تقر به العقول السليمة ، ثم نستدل عليه تعالى بالفطرة السليمة ، ولو كان اثبات وجوده مما هو ثابت فى العقول النقية ما كان المؤمنون به فى حاجة لاقامة الأدلة عليه ، لأن المسألة ستكون من البدهيات التى لاسبيل لجحدها عند عاقل .

والجواب على هذا السؤال من وجوه .

الأول أن السؤال فى غير محل ، لأن مسألة وجود الله تعالى لم توضع أبدا موضع شك بل أنها ثابتة ، والنافى لها هو الذى يتحمل اقامة الأدلة على النفى ، وبالتالى فهو يعمل على انكار وجود ما وجوده ثابت يقينا ، من ثم فإن سؤاله فى غير موضع صحيح ، ولامحل مقبول .

الثانى . ان قضية وجود الله تعالى فطرية ، بمعنى أنها ثابتة فى فطر الانسان غير المميز كما هى فى ذهن المميز ، بل وفى عقل الحيوان ومشاعره ، من باب أن كل حدث له محدث ضرورة ، وأن كل فعل له فاعل مميز عنه من كل ناحية .

فإنك لو سألت طفلا - سمع صوتا غير مألوف - عن مصدر الصوت لشاركك فى البحث عنه ، ولو قلت له : ان هذا الصوت حدث من غير عاقل لم يصدقك أبدا ، بل لو قلت له حدد مصدر الصوت على النحو الذى يمكنه القيام به ، فربما فعل ، وماذلك إلا

لاعتقاده بأن وجود صوت من غير فاعل أمر مستحيل فطريا ، وأن وجود العالم من فاعل أمر فطرى أبدا .

كما تقرر فى الأذهان أن كل كلمة لابد لها من متكلم ، وطبقا لهذا المفهوم فإن العالم لابد له من خالق ، اله عليم حكيم ، قادر ، له من صفات الجلال والكمال والجمال والاكرام أعلاها ، مما لاينطبق على أحد سواه .

ثم ان هذه الفطرة فى ذهن الحيوان وعقله ، فلو رفعت العصا فى وجه الحيوان لأدرك أن لها أثرا هو الألم ولايكون الألم بعيدا عن الأثر ، وهو رفع العصا للضرب ، لآن فطرة الحيوان ، وطبيعة تركيبه ، والأنماط التى خلقه الله عليها ، تؤكد أن كل أثر له مؤثر(١)، وكل ما كان من هذا القبيل يمكن القول عليه ان قضية اثبات وجود الله تعالى على هذه الناحية - كلما وجد أثر كان له مؤثر - فطرية لامحالة .

كما أن الفطرة قاسم مشترك فى عقل ساكن القصور والأبراج والقابع تحت ظلال الاشجار فى القارات البعيدة ، وساكن الصحراء القفراء كلهم اذا سألت أحادهم عن برج قام من غير أن يبنيه أحد ، أجابك بأن هذا من قبيل الرؤى المختلفة والأحلام المفزعة ، لأن فطرته شهدت بأن كل هذه الأشجار والبحار والأنهار ، وغيرها لها جميعا فاعل خالق مختار ، هو الله رب العالمين ، شهدت به الفطرة وان اختلف الناظرون اليها قال تعالى: " ءامن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا ، وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا اءله مع الله بل أكثرهم لايعلمون "(٢)

---

(١) المصدر السابق ، وقد وقع الخلاف بين المتناولين للمسألة ، من حيث كونها فطرية أو بدهية أو ترجع الى احداهما .

(٢) سورة النمل الآية ٦١ .

ان قضية اثبات وجود الله تعالى ليست موضع شك عند المؤمن بالله رب العالمين لأنه يؤمن بالله تعالى ، ولايزحزحه عن هذا الإيمان شئ أبدا ، وهو لايطلب أدلة يزيد به ايمانه ، وانما يحاول اقامة الأدلة ليقنع بها المنكرين ، ويرد شبه الضالين ، ويقطع أذهان المتشككين " قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى "(١)

ان الأدلة تكون معه كالأدلة التى يرفعها فى وجه الكافرين ليعيدهم الى دائرة التفكير الحر ، بعيدا عن سلطان التبعية لاوجود لها الا فى أذهان الغافلين ، وأحلام النائمين ، ولايعيش فى حدودها الا من طمست منهم البصائر ، وضاعت منهم النهى واختلف من بين أيديهم كل السبل القوية ، والأنماط الكاملة ، ومثل هؤلاء تكون الأدلة فى مواجهتهم من باب الضرورات العقلية ، التى تفرضها الأحكام الشرعية .

ولانبعد عن الحقيقة اذا قلنا : ان فرعون ما غابت عنه مسألة ألوهية الله جل علاه ، ولكنه حاول ان يعتبر نفسه شريكا فى هذه الألوهية الثابتة ، ولو كانت قضية وجود الله عنده بهذا الشكل الذى يعيش فيه المؤمنون ما كانت بحاجة الى بعث جديد فى أعماله .

وقد كان فرعون شاذا يشاركه أمثاله من شواذ الفكر فى كل أمر يجدون من العقلاء اتفاقا حوله ، وإذا كان مشركوا اليوم يتصورون أنهم بدعا من الفكر فى مجال الكفر فقد خسروا لأنهم يقلدون فرعون فى الصورة السيئة الغريبة . وقد اتخذ الضلال فى اعماق فى فرعون . وكل الفراعين نفس الصور مما يجعلنا نذكرها لدى فرعون -ايجازا- وهى على النحو التالى .

---

(١) سورة ابراهيم الآية ١٠

* **ادعاؤه الألوهية وتفرده بها .**

اشتط فرعون وعقله ، فلم يكتف بادعاء أنه الرب الأعلى ، وإنما سولت له نفسه المريضة ، أن يكون علما فوق جوانح الغيب وقوة تمسك بمفاتيحه ، فقرر أن يدعى الألوهية على سبيل المشاركة - إله موسى- وإله بنى اسرائيل- وانما على سبيل الاستقلال ، فإذا به يبدأ خطواته بتوجيه انذار عنيف شديد اللهجة ، الى نبى الله موسى عليه السلام " قال لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين (١) .

* **الاندفاع عن المسألة لأبعد حد**

ويبدو ان الاندفاع استولى عليه من كل جانب ، فها هو ذاهب الى حاشيته يعلن لهم اختصاصه بالالوهية ، وأنه لايمكن قبول مبدأ إله موسى وإله بنى اسرائيل ، وانما إله واحد هو فرعون العبرة ، تعالى الله عن قوله وأمثاله علوا كبيرا " وقال فرعون يا أيها الملأ واعلمت لكم من إله غيرى فأوقد لى ياهامان على الطين فأجعل لى صرحا لعلى أطلع الى إله موسى وإنى لأظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لايرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كانت عاقبة الظالمين (٢)

* **موقف القرآن من تصوير المسألة.**

ويصور القرآن الكريم هذا الموقف باعجازه الآخاذ ، وأن فرعون رغم ادعائه الألوهية كان محتاجا الى الأسباب التى فضحت ادعاءه الألوهية " وقال فرعون ياهامان ابن لى صرح لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فاطلع الى إله موسى

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢٩.

(٢) سورة القصص الايات ٣٨-٤٠ .

وإنى لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وماكيد فرعون إلا فى تباب "(١)

والقرآن الكريم يطلعنا على أن الهلاك الذى وقع لفرعون العبرة وقومه ، كان كبيرا فى الدنيا فأخذه الله نكال الأخرة والأولى وفى الأخرة يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود واتبعوا فى هذا لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود (٢)

أجل العقل نعمة الله علينا ، لكن لهذه النعمة الموهوبة من الله من الامكانيات ما يجعلها تتحسس مواقفها وتراجع قضاياها وتستعرض ماترى فيه كما لها لاهلاكها ، وكيف نسمح لنفسنا أن نعطى العقل - مع أنه نعمة - ميزة على غيره من النعم .

فالبصر نعمة ، وإذا حاولنا أن نجبره على اختراق ماليس لديه فيه امكانية فقدناه ، ومن ثم فنحن نحافظ عليه ونصونه ، ونقر بعجزه على الساحة فى غير ميدانه ، وكذلك السمع مع أنه نعمة إلا أننا نكابد فى سبيل بقائه والمحافظة عليه ، ولانقحمه فى أمر لايمكنه .

فإذا جاء دور العقل وجعلناه حاكما على النص المنزل نكون أخطأنا وإذا حاولنا أن ندخل به ميدان الغيب يكون الخطأ من مكررا والعقاب علينا واجب وليس شأن المسلم الملتزم هذا الملتوى .

اذن قضية وجود الله عند المسلم أمر ثابت لايمكن أن يجادل فيه والأدلة على هذا قائمة لايمكن لأحد تجاهلها ، ولكنها بالنسبة لغير المؤمن تحتاج الى مزيد عرض . أو عرض جديد بما يناسب امكانيات العصر الذى يوجد فيه ، وذلك مهمة العلماء لاغيرهم .

---

(١) سورة غافر الأيتان ٣٦- ٣٧ .

(٢) سورة هود الأيتان ٩٨-٩٩ .

الفصل السادس

البراهين العقلية فى الاستدلال على عقيدة الألوهية

تعتبر العقيدة الحقة فى الله رب العالمين ، أقوى المؤثرات على الانسان فى فكره وسلوكه ، لأن عليها تبنى حياته ، وتستقيم آخرته ، كما أنها الأصل لكل ماعداها فمن آمن بها لزمه الايمان بغيرها من الغيبيات التى تقوم عليها ، فإذا صدق ايمان المرء بها ، سلمت عقيدته ، واستقامت أخلاقه ، وانضبط فكره ، وأمكنه التصرف فى جوارحه بل والسيطرة عليها .

ولهذه العقيدة الغيبية أثار كثيرة ، ظهر بعضها فى جهود المتكلمين ، حين حاولوا الاستدلال عليها، وقدموا لذلك عددا من الأدلة عمدتها دليل الحدوث ودليل الامكان وهو بعض جهد متكلمى اهل السنة والجماعة (١).

كما ظهر بعض أخر على جهود الفلاسفة المسلمين الذين آمنوا بهذه العقيدة الغيبية ، ورأوا أن نصوص الدين تعطى مقدمات لهذا الاستدلال الفلسفى فعمدوا إليه ، وقدموا له عددا من الادلة من اشهرها .

- دليل العناية والنظام .
- دليل الخلق والاختراع.

بل كان لهذه العقيدة فى العصر الحديث أمر مهم .حين هتف بها علماء الطبيعة والفلك والطب والجيولوجيا وشاركهم علماء النفس والنبات ، وكافة العلماء فى الاستدلال على هذه العقيدة الالهية واتخذ كل منهم من ميدان تخصصه نقطة انطلاق لاثبات ان لهذا الكون خالقا ، وله صفات خاصة به.

---

(١) ذكر شارح المواقف تسعة أدلة على اثبات الصانع . وذكر صاحب تحقيق الموقف الخامس أخر يضاف الى ماسبق وهو يقوم على اثبات احتياج الممكن الى العلة التامة ضرورة أن هذه العلة واجبة الوجود ، وهو المطلوب ص٢٦

وربما قيل أليست هذه العقيدة فطرية؟!

والجواب أنها فعلا فطرية ، لكن فطريتها فى الايمان بها لا فى الاستدلال عليها . وفى تقديرى أنه لاتمنع الفطرية محاولة الاستدلال عليها ، وقد جاءت فى سياق النص القرآنى ، مع نبى الله ابراهيم عليه السلام. ومحاولة الاستدلال على صفة المحى بالنسبة لله رب العالمين . قال تعالى:

" واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن ياتينك سعيا وأعلم أن الله عزيز حكيم [١] "

يقول الامام الزمخشرى:

" ولكن ليطمئن قلبى ، فيزداد سكونا وطمأنينة بانضمام علم الضرورة الى علم الاستدلال ، وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب، وأزيد للبصيرة واليقين ، فأراد بطمأنينة القلب العلم الذى لامجال فيه للتشكيك [٢]

إذن الايمان بوجود الخالق العليم جل علاه عقيدة فطرية " لأن الايمان بوجود الله عقيدة مغروزة فى فطرة الانسان على اساس ان التدين فطرى فيه ، والايمان بوجود الخالق اساس التدين "[٣] ومن ثم وجدنا المؤمنين بهذه العقيدة

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦

(٢) الكشاف المجلد الأول ص٣٠٩

(٣) الدكتور / حسن محرم الحوينى - المنهج فى اثبات الصانع بين السلفية والمتكلمين ص١٢ دار الطباعة المحمدية الطبعه الاولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م

الالهية يتخذون أدلة عديدة لاثبات هذه العقيدة والاستدلال عليها ، بحيث يمكن اجمالها فيما يلى:

١-دليل الفطرة [١]

٢-الدليل القرآنى الكونى

٣-الاستدلال العقلى

وهى فى اجمالها تشير الى اثر الايمان بعقيدة الالوهية على فكر المؤمنين بها كما تشير الى ان كل دليل منها قام عليه فكر ينسب الى من وافقهم ، اذ ان بعضهم كان يكفيه فى الاستدلال عليها ما يشعر به فى وجدانه ، وما استقر فى فطرته[٢].

وبعضهم كان يتأمل الدلائل الكونية من مخلوقات عديدة ، سماء مرتفعة بلا اعمدة قائمة رغم اتساعها، ونجوم وكواكب ، وشموس وأقمار ، وبحار وأنهار ، الى غير ذلك وكان فكرهم متجها نحو الدليل الكونى وكان فيه الكفاية لهم .

---

(١) افاض الامام ابن تميمة فى بيان هذا الدليل وقدم له وجو ها سته فى كتابه النقل والعقل ج ٤ ص ٨٣/٨٦ مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٨٢ عقائد تيمو.

(٢) اختلف فى تحديد مفهوم السلف الصالح على أقوال: منها القول الأول. اصحاب التحديد الزمانى ، وهم قد اختلفوا فى طول المدة حتى اوصلوها من المائة الاولى الى الخامسة. القول الثانى : اصحاب الاتجاه اللغوى ، وهم يرون ان السلف من لهم خلف وبالتالى كل فرقة لها خلف يكون لها سلف القول الثالث : السلف هم المتمسكون بالكتاب والسنة وتقديمها على غيرها فى الاستدلال وهو الرأى الراجح.

وأخرون نشطت مباحثهم العقلية ، وفرضت عليهم الثقافات التى تعاملوا معها نوعا من الاستدلال العقلى فقاموا به خير قيام على النحو الذى سمحت به ظروفهم أنئذ من ثم فانى ساركز علـى ذكـر الادلـة التـى تمكـن بهـا . قـاصدا ضرب اصحاب الفكر المادى على وجوههم ايا كانوا .

ولم تكن مسائل العقيـدة الاسـلامية بحاجـة الى بحث او استدلال لا فـى الايمان بها او الاستدلال عليها فـى الصـدر الاول للاسـلام ، بـين الصحابـة أمـا لماذا؟ فلأن رسول الله ﷺ بينهم، حيث كان " المرجع عند الحيرة ان كـانت ، والسراج فى الظلمات ان وجدت [1] وكيف لاوهو ﷺ بينهم ، وينزل القرآن الكريم عليه ، من ثم . كانت القلوب تقية، والعقيـدة صافيـه ، لم تدخـل اليهـا ثقافات غيرها ، بل ان احتكاكهم بالامم الاخرى كان بعيدا عن مسائل العقيدة واقتصر على تبليغ العقيدة اليهم . هذا فى المسائل العقدية.

وحصـر الاحتكـاك فـى التعـاملات الدينويـة ، علـى ان مسـائل العقيـدة الاسلامية كانت بالنسبة للسلف الصالح تقوم على التصديق بما جـاء بـه القـرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . والتسليم بما جاء به النقل المعصوم من غير زيـادة عليه او نقصان ، اذن منهج السلف هو المنهـج النقلـى . فـى اثبـات وجـود الله تعالى . والاستدلال عليه. [2]

---

(١) د/ على محمد جبر - محاضرات فى علم الكلام ١٣ شركة الطباعة الفنية

(٢) أرى حصر الاراء فى مفهوم السلف فى اتجاهات ثلاثة :

الاتجاه الاول : القائلون بأن السلف فترة : وهم الذين عاشوا فترة زمانية مع رسول الله ﷺ. ربما امتدت حتى نهاية القرن السابع الهجرى . وعليه ملاحظات كثيرة .

الاتجاه الثاني : القائلون بأن السلف افراد واشخاص بأعينهم ، واعيانهم ، وهذا الاتجاه عليه من النقوبات مايضعفه بل ويهدمه.

الاتجاه الثالث: القائلون بأن السلف فكرة هى التزام القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وتقديمهم فى استدلال على وجود الله تعالى على غيرها وهو اقوى الاتجاهات واكثر قبولا .

بيد أن من دفعه فكره فى الاستدلال عليها - بعد الايمان بها - كان يجد طريقه فى آيات القرآن الكريم ، وأحاديث البشير النذير ، وكان فى ذلك حفظ لعقيدتهم الصافية ، واستمرار لما فيها من نقاء وطهارة ، عبر عنها القول المأثور متى غاب حتى نستدل عليه ،ومتى خفى حتى نبحث عنه، والقول:

وفى كل شئ له آية :. تدل على أنه الواحد.

بل ان السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سار على دربهم ، لم يكونوا يفرقون بين ذات الله وصفاته فى الاستدلال . ولم يسمحوا لعقولهم الخوض فى مسألة اسماء الذات وأسماء الافعال ، اوصفات الذات وصفات الافعال ، بل انهم لم يتحدثوا فى مسألة زيادة الصفات على الذات اوعدمها ، وهو مايبحث تحت علاقة الذات بالصفات وانما كان ايمانهم فطريا ، واذا حدث نوع من الاستدلال كان عماده النظر فى ايات الذكر الحكيم ، واحاديث النبى محمد ﷺ ، وامرار كل ذلك على ظاهرة من غير تشبيه يوقع فى التجسيم ، او تأويل يؤدى الى التعطيل ، وانما "طفقوا يقررون العقائد - الدينية - من واقع النصوص الشرعية.[(١)]

وليس معنى هذا أنهم عطلوا العقل الانسانى ، او طالبوا باهماله ، وانما جعلوه تحت رقابة الشرع الحكيم ، يفكر فى النقل المعصوم ، لابغرض الايمان ، وانما بغية الاستدلال ، تحقيقا لأمر الشرع الوارد فى امثال قوله تعالى:

---

(١) الدكتور / على محمد جبر- محاضرات فى علم الكلام صد ١٣ شركة الطباعة الفنية.

" قل انظروا ماذا فى السماوات والارض وماتغنى الايات والنذر عن قوم لايؤمنون"(١) وقوله تعالى " وفى انفسكم أفلا تبصرون "(٢) وقوله تعالى " ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعنا النهار معاشا"(٣) الى آخر تلك الايات وامثالها التى تحدثت عن أثر الفاعل جل علاه .

ومن تم دلت على أنه امر فطرى من حيث وجوده ، وأزليته وأبديته جل علاه كما جاءت أيات اخرى تحدثت عن وحدانية الله تعالى من كل ناحية بعد أن اكدت على ضرورة اثبات وجوده، من ذلك قوله تعالى:" هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم"(٤) ومن ناحيه نفى وجود المثل : قال تعالى " ليس كمثله شئ وهو السميع البصير"(٥) ، ومن ناحية استحالة وجود شريك له جل علاه قال تعالى " اننى معكما اسمع وارى "(٦)

إلى غير ذلك من الوجوه التى جاءت فى النقل المعصوم حديثا عن البارى جل علاه تأكيدا على اثبات وجوده تعالى ، واثباتا لصفاته العظمى ، وتأكيدا على وحدانيته جل علاه من سائر الوجوه ، وكان النقل المعصوم هو ميدان

---

(١) الدكتور / حسن محرم الحوينى - المنهج فى اثبات الصانع بين السلفية والمتكلمين ص٢٠
(٢) سورة يونس الأيه
(٣) سورة الذاريات الأية
(٤) سورة النبا الأية
(٥)
(٦)

ذلك كله ، فلم يقم الاستدلال على أثبات وجود الله تعالى عندهم ، او اثبات صفه من صفاته على المناهج العقلية التى عرفت فيما بعد عند المتكلمين والمقدمات المنطقية ، وانما جاءت من النقل المعصوم مباشرة ، بحيث يفهما الامى العامى ، والمتعلم المثقف.

اذن كان المعول عليه عند ائمة السلف وعلمائهم من أهل السنة والحديث، هو الادلة الشرعية ، في اثبات العقائد وتقريرها" والادلة الشرعيه يقصد بها العقل المعصوم ، وبخاصة ان القرآن الكريم " ذاخر بالايات الكثيرة التى تأخذ بيد العقل البشرى ، الى حيث تهديه الى خالقه - جل علاه - الذى مكث الفلاسفة السنيين الطويلة فى البحث عنه ، واختلفوا وتطاحنوا فيما بينهم عليه "[١] بينما يكفى فى الايمان بالله ان تعتقد بوجود اله واحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احدا " [٢] وهو طريق السلف الصالح رضوان الله عليهم.

فاذا قيل اى تلك التى يقوم عليها مذهب السلف الصالح فى الاستدلال على وجود الله تعالى ، وسائر صفاته ، والنبوات والسمعيات وسائر مسائل العقيدة؟

فالجوب . انه الدّليل القرآنى الذى يمكن استخلاصه من أيات الذكر الحكيم . وله عدة مناهج :" وما من شك فى انه يمكن أن يؤخذ من ذلك أدلة

([١]) د/حسن محوم الجوينى - المنهج فى اثبات الصانع بين السلفية والمتكلمين ص٢٠

([٢]) الدكتور/على محمد جبر - محاضرات فى علم الكلام صـ ٤٥

كثيرة على وجود الله لمن شاء من أصحاب الفكر"[١] وبالتالى تكون أدلة عقلية، وبراهين علمية ، وشواهد قرآنية

ثانيا: سوق البراهين:-

الاول : البرهان الطبيعي.[٢]

ومؤداه ، أن النظر فى المشاهد التى تحتوى عليها الطبيعة ، من أفلاك ونجوم تتحرك بقدرة لايستطيع الانسان ان يوقفها أو يحول سيرها أو حتى يعدلها. يؤدى بالانسان الى الاعتقاد بأن هناك قوة عليا هى التى خلقت هذه الطبيعة ، وهى التى تحكم سيرها ، وهو الله رب العالمين.

وتطبيق آيات القرآن الكريم على هذا المنهج يأتى من امثال قوله تعالى " فلينظر الانسان الى طعامه أناصببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وطرائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم"

وقوله تعالى"ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا.

---

(١) الدكتور / رؤف شلبى - منهج القرآن الكريم فى اثبات العقيدة الاسلامية صـ١٦ ط المكتبة الازهرية سنه ١٣٩٧هـ

(٢) الدكتور / رؤف شـلبى - منهج القرآن الكريم فى اثبات العقيدة الاسلامية صـ١٦ ط الكتبة الازهرية سنه ١٣٩٧هـ

وقوله تعالى : "أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين".

"أفرأيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون"

"أفرأيتم الماء الذى تشربون ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون "

الى غير ذلك من الايات القرأنية التى تهدى الباحثين الى أستخلاص هذا الدليل من القرأن الكريم على ان ابن رشد يسميه دليل العنايه لما فى الكون من كثره المخلوقات مع العنايه بها والاحكام وأنها خلقت بعنايه ، وتحفظها من ناحية الخالق جل علاة عنايه .

الثانى : البرهان الروحى

ومؤداة أن الروح التى يعيش بها الانسان والحيوان غير التى بها الفكر الانساق ، وأية ذلك أن البله والنائمين والمصروعين يتنفسون ويأكلون وربما يتحركون ، وهم فى ذلك الفعل تقودهم الروح الحيوانيه التى يشترك فيها الانسان والحيوان ، والروح التى هى خاصة التفكير هى الروح العاملة فاذا غابت عن بدنها جاء النوم وغيره ومن ثم فان أنفصالها عن البدن لا يعتبر عدما وانما يعتبر أنفصالا بين المادة ، والروح وهو ما يحدث فى الموت على أن هذه الروح بعد الانفصال تعود الى عالم الغيب كما ترجع المادة الى عالم المادة ، والروح فى حاله الانفصال تكون أقوى تأثيرا لآنها لا يحد سلطانها الجسم اذن هناك كائنات غيبيه عامله لا يقع عليها الحس مزودة بقوه خارقه قد تتصل بهذا العالم وتترك فية أثارا عجيبه ، ومن وراء هذه الكائنات والقوى يوجد الروح الاعظم الجدير بالعبادة ، رب القوى جميعا ورب الأرباب"(١)

(١) الدكتور/سليمان خميس - نحو عقيدة قرآنية صـ ٣٥

فإذا حاولنا معرفة الايات التى تفتح الباب هذا المنهج الروحى وجدنا القرآن الكريم ينص على مقدماته فى آيات كثيرة منها :-

١- مايدل على استقلال الروح الانسانى عن الروح الحيوانى والجسد من ذلك قوله تعالى " وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعلمون.[١]

٢- مايدل على بقاء الروح الانسانى بعد الموت. قوله تعالى " الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى اجل مسمى ان فى ذلك لأيات لقوم يتفكرون "[٢] " فهذه الأية صريحة فى أن التوفى أعم من الموت ، فقد صرحت بأن الأنفس التى تتوفى فى منامها غير ميتة. فهناك وفاتان :

١- وفاة كبرى وتكون بالموت .

٢- ووفاة صغرى وتكون بالنوم "[٣] اذن الروح باقية بعد الموت البدنى. ويكون الموت انفصالا بين طرفين هما الروح والبدن وكل منهما يرجع الى عالمه الذى كان فيه قبل الاتصال بينهما.

---

(١) سورة الانعام الاية ٦٠

(٢) سورة الزمر الآية ٤٢

(٣) د/ محمد سيد طنطاوى ، د/احمد السيد الكومى تفسير سورة الانعام ص١٤١ سنة ١٣٩٢هـ /١٩٧٢م

٣- مايدل على تعلق ارواح الموتى بالذين لم يلحقوا بهم.

ذكرت ايات القرآن الكريم حديثا شيقا يدل على أن أرواح بعض الناس بعد موتهم تظل متعلقة ببعض شئون أهل الدنيا من ذلك قوله تعالى " ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لايضيع أجر المؤمنين" (١)

يقول صاحب مفاتيح الغيب :" فاستبشارهم بمن يكون فى الدنيا ، لابد وأن يكون قبل قيام القيامة، والاستبشار لابد وأن يكون مع الحياة ، فدل هذا على كونهم أحياء قبل يوم القيامة"(٢) ومن السنة المطهرة ما يؤكد على تعلق الارواح التى انفصلت عن أبدانها بغيرها التى مازالت متعلقة بالأبدان ، وتؤيد فى مجملها المنهج الروحى الذى يمكن فهمه من النقل المعصوم.

فمن ذلك ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال فى صفة الشهداء:" إن أرواحهم فى أجواف طير خضر ، وأنها ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها ، وتسرح حيث شاءت ، وتأوى إلى قناديل من ذهب تحت العرش، فلما رأوا طيب مسكنهم ومطعمهم ومشربهم قالوا : ياليت قومنا يعلمون ما نحن فيه من النعيم ، وماصنع الله تعالى بنا كى يرغبوا فى الجهاد فقال الله تعالى : أنا مخبر عنكم ومبلغ اخوانكم ، ففرحوا بذلك واستبشروا فانزل الله تعالى هذه الآية" (٣)

---

(١) سورة آل عمران الأيات ١٦٩/١٧١
(٢) مفاتيح الغيب مجلد ٤ ج٢ ص٥٦١ ط دار الغد العربى
(٣) مفاتيح الغيب مجلد ٤ ج ٨ ص ٥٦٤.

وكذلك ماروى عن ﷺ أنه قال : " أولياء الله لايموتون ولكن ينقلون من دار الى دار "[١] ثم انتهى صاحب مفاتيح الغيب الى القول بان " كل ذلك يدل على ان النفوس باقية بعد الموت "[٢] فاذا نحن فرغنا مما عرضناه نرى القرآن الكريم قد اشار الى حقائق .

وكل النقل المنزل حقائق - غيبية ونحن لاندركها مع انها موجودة متصلة بالانسان أو مستقلة عنه ، بها اتصال بالعالم الذى نعيش فيه ، وغير الذى نعيش فيه.

بعضها يتعلق به الارزاق ، وأخر به الآجال وثالث به الحفظ ، ورابع به الصور ، وخامس به الموت ، وغير ذلك مما يتعلق بهذا النوع من المخلوقات وهم الملائكة على وجه العموم ، وهى فى مجملها ارواح موجودة عاملة غير مرئية على الدوام بل ان الجن ارواح واجساد لطيفة ونحن لانشعر بهم شعورا ماديا ، ولا نتمكن من مراقبة سلوكياتهم او ضبطها ، أو التعديل فيها ومثل هؤلاء واولئك كثير مما لايعلمه الا الله تعالى .

وآيات الذكر الحكيم فى الحديث عن الملائكة والجن وغيرهما مستفيضة . اذن يمكن القول بان " المنهج الروحى الذى سلكه القرآن من وجود الروح الانسانية المغايرة للروح الحيوانى ، التى تبقى بعد الموت ، ووجود الارواح الأخرى التى سخرها الله ، كل ذلك يلائم بعضا من الناس فى الاهتداء الى عقيدة الألوهية والى الاعتقاد فى وجود اله قادر حكيم ، اعطى كل شئ خلقه ثم هدى "[٣]

---

(١) مفاتيح الغيب مجلد ٤ جـ٨ صـ٥٦٤

(٢) مفاتيح الغيب المجلد الرابع ج٨ صـ ٥٦٤

(٣) الدكتور / سليمان سليمان خميس - نحو عقيدة قرآنية ص٤٢

الثالث : البرهان النفسى

ومؤداه . ان الانسان يدرك من خلال تجاربة الخاصة به . أن هناك فـاصلا بين ما يتمناه وما يحقق فعلا .بمعنى أنه ليس كل ما يطلبه الانسان يتحقق له مهما سعى فى سبيل تحقيقه، بل كلما أندفع بحدة من حركته الارادية شعر من داخل نفسه بارتداده لقيود القانون العام الذى يحكم الوجود كله . وليس هـذا القـانون هو الطبيعة التى انهزم الانسان امامها مرة ، وانهزمت امامه كذلك ومازال رحى الحرب بينهما قائمة . وانما القانون هو الروح العالميـة العاقلـة التى تدبر الكون وتديره ، وتخضع لهـا أمـال الانسـان وتنهـزم أمامهـا طموحاتـه، وتحيـط بأمانيـه واحلامه من كل جانب .

فإذا سلمنا به تبين لنا أن هناك تضاربا بين مـاترغب فيـه النفـس البشـرية ، وبين مايريده القدر الالهى .بحيث ينتهى الأمـر الى هزيمة الانسـان وخضوعـه الى هذا القانون العام الذى لايلتفت الى رغبـات النفـس البشـرية ، وكـل النفـوس البشرية العاقلة تدرك هذا الخضوع . فكم من تـرى افتقـر ، وكـم مـن صحيح سقم ، وكم من عزيز قوم ذل وقد يتبدل الحال الى العكس بل ربما إلى ابعد مـن العكس.

على أن الناس جميعا يدركون هـذا الأمـر . عـامهم والمثقـف ، جـاهلهم والمتعلم من كان فى قمة المعرفة الانسانية ومن كان من الهمج الرعاع ، وبحكم ثقافة كل واحد منهم وظروفه يعبر عـن أمالـه المنكرة والامـه التـى يعـانى منهـا وحده ، ويضطر الى اخفائها عن الاخرين ، خيفة الشماتة أو الاعلان عنها طلبـا للشفقة .

أما القرآن الكريم فقد وضع لهذا المنهج أسسا قوية تلفت العقول الى أن هناك الها خالقا يحكم هذا الكون ، ويمسك مقاليده ، ويحفظ نظامه ، كما بين ان أفراد المجتمع الانسانى ليسوا على حالة واحدة من حيث التكوين النفسى ولا السلوكيات الصادرة عن هذا التكوين وأنهم ليسوا على درجة واحدة من حيث تصرف الارادات الانسانية ، ولنطبق ايات القرآن الكريم على هذا المنهج فحتما سنرى .

١- من الايات مايشير الى انه ليس كل مايتمناه الانسان يتحقق له .

قال تعالى:" ولقد جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ماتمنى فلله الأخرة والأولى[١] اى " علل سبحانه انتفاء أن يكون للانسان ماتمنى بقوله تعالى " فلله الأخرة والأولى " اى ليس للانسان مايشتهى لأن الملك كله لله تعالى يعطى من يشاء ، ويمنع من يشاء ، وأن أمور الاخرة والدنيا بأسرها لله عز وجل ، فليس لأحد معه أى أمر من الامور"[٢] وهكذا فإن المرء قد يريد شيئا ويريد الله غيره ولايتحقق الا ما يريده الله تعالى ، ويدرك هذا كل انسان من نفسه ز

٢- مايدل على ضعف ارادة الانسان وكمال ارادة الرحمن.

قال تعالى :" قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير"[٣]

---

(١) سورة النجم الايات ٢٣/٢٥

(٢) الدكتور / محمد سعيد محمد عزام تفسير سورتى الطور والنجم ص٧٩ مطبعة الطاووس

(٣) سورة آل عمران الآية ٢٦

قال صاحب مفاتيح الغيب" الملك هو القدرة ، والمالك هو القادر ، فقوله تعالى "مالك الملك " معناه القادر على القدرة ، والمعنى أن قدرة الخلق على كل مايقدرون عليه ليست الا باقدار الله تعالى فهو الذى يقدر كل قادر على مقدروه ، ويملك كل مالك مملوكه"(١) ومن ثم فان الارادات الانسانيه منحصرة فى الضعف الانسانى خاضعة لأرادة اعلى منها ،والارادة الأعلى لاتكون مثلها وانما لها من السمات ما يحول بينها وبين أية صورة من صور القصور ، وعدم النفاذ وهذا فى حد ذاته يكفى لبيان المنهج النفسى وضرورة التسليم باثبات وجود الله الخالق للكل جل علاه.

٣- مايدل على تحول الارادات الانسانية

قال تعالى " واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم أياته لعلكم تهتدون "(٢) وقد بينت الآية الكريمة أن ارادة الانسان تتحول ، وان الذى يحولها اكبر منها بسلطانه وهيمنته عليها ، وهو الله رب العالمين .

ودفعت الآية الكريمة المؤمنين الى ان " يتذكروا نعمة الله التى أنعم بها عليهم حين كانوا أعداء ، يقتل بعضهم بعضا استجابة لعصبية الجاهلية فأنقذهم من هذا ونجاهم منه ، بان هداهم للاسلام ، وألّف بين قلوبهم ، فأصبحوا يتواصلون بالالفة واجتماع الكلمة ، وبهذا صاروا اخوانا متحابين ، وأعوانا

---

(١) مفاتيح الغيب المجلد ٤ ج٧ ص ١٥٥

(٢) سورة آل عمران الأيه ١٠٣

متناصرين "(١) وليس تحويل الارادة الانسانية بلا عقاب أو مسئولية بحيث تُخلى عنه أمورا. وتسقط عنه مسؤليات كلا، وانما تحول الارادة الانسانية قد يكون لصالح الانسان نفسه من غير عمل أوجبه .

٤- مايدل على أن النفوس الانسانية تحكم تصرفاتها قوة أعلى منها.

قال تعالى " وان يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم (٢)

والبادى من الأية الكريمة هو ابراز همينة الخالق جل علاه ، وسيطرته على تصرفات النفوس ، مع علمه التام بما يجرى فيها من كافة نواحيها ثم هو سبحانه الذى يجعل القلوب البعيدة متقاربه ، والمتنافرة متآلفة ، بحيث تشعر هى فى ذاتها أن هنالك قوة أعلى منها جميعا ، وتتعرف فيها كلها . وهذا القوى القاهر هو الله رب العالمين.

يقول الامام الفخر:" احتج اصحابنا بهذه الآية على أن أحوال القلوب من العقائد وارادات الكرامات كلها من خلق الله تعالى ، وذلك لأن تلك الألفة والمودة والمحبة الشديدة انما حصلت بسبب الايمان ومتابعة الرسولﷺ : فلو كان الايمان فعلا للعبد لافعلا لله تعالى ، لكانت المحبة المترتبه عليه فعلا للعبد لافعلا لله تعالى ، وذلك على خلاف صريح الأية....

---

(١) التفسير الوسيط الجزء ٣ ص٦٣ ط مجمع البحوث الاسلامية

(٢) المصدر نفسه ص٦٣١

والبرهان العقلى مقو لظاهر هذه الأية ، وذلك لأن القلب يصح ان يصير موصوفا بالرغبة بدلا عن النفرة وبالعكس ، فرجحان أحد الطرفين على الآخر لابد له من مرجح ، فان كان ذلك المرجح هو العبد ، عاد التقسيم ، وان كان هو الله تعالى ، فهو المقصود .

كما دلت الأية على أن القوم لما أمنوا "با لله ورسوله واليوم الاخر زالت الخصومات ، وارتفعت الخشونات ، وحصلت المودة التامة والمحبة الشديدة "(١) ولعل ماذهبنا اليه يعضده قوله ﷺ ان قلوب العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

وقوله ﷺ " اللهم يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك

وقوله ﷺ " اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك

على أنا اذا فرغنا من عرضنا للمنهج النفسى فى الاستدلال على اثبات وجود الله تعالى من خلال النقل المعصوم فاننا لانعدم القول بأن هذا المنهج النفسى يخالف المنهج الروحى لأن المنهج النفس يقوم على أساس الارادات النفسيه وأمالها والآحلام ، وعجزها عن انفاذ ما تريده لوجود قوة عليا لايستطيع أى مخلوق النفاذ من سلطانها.

أما المنهج الروحى فقائم على أثبات الغيبيات والتى منها الروح الانسانيه والروح الملائكيه ، والارواح الآخرى كأرواح الجن وغيرها ، ومن ثم يلزم الايمان بوجود خالق لهذه الارواح لايرى ولا يحس قياسا عليها ، ولكنه يؤثر فى

---

(١) مفاتيح الغيب المجلد ٧ ج١٤ ص٥٢٨/٥٢٩ ط دار الغد العربى

الكون وغيره بماله من صفات الجلال والكمال والجمال والاكـرام. هـذه ناحيـة وناحيه ثانيه هى أن المنهج النفسى يعطى تصـورا واضحـا بـأن حركـة الارادات الانسانيه ، والتحركات النفسيه تخضع فى كل ما تهدف الى حركة كبرى تقدر لها ما تريده ، وهو الله سبحانه وتعالى وماذلك الا أثر من اثـار الايمـان بـالغيب والتى تعتبر عقيدة الالوهيه أهم الاصول فى المسأله .

الرابع : البرهان الاخلاقى

ومؤداه أن العقل السليم يقرر ضرورة اثبات وجـود الله كفكـرة اخلاقيـة ترسخ فى النفوس العدل والحق والرحمة . ذلـك لأن الأعمـال التـى تصـدر عـن الانسان لها بواعث ومقاصد ومسـائل ، وفيهـا ماتعقبـه السـعادة والفضيلـه ، أو الشقاوة والرذيلة.

ومـن ثـم فـإن درجـات النعيـم والعـذاب تـوزع علـى حسـاب الأعمـال وبالتالى. فلا بد من وجود توازن يأتى من قوة عليا تخضع الطبيعة كلها لارادتـه ، وتسيرهى على وفق قدره بينمـا يتصـرف هـو طبقـا لعدلـه وعطفـه ورحمتـه ، وماذلك الا الله خـالق كـل مـن الطبيعـة والانسـان ، وهـو الله تعـالى ، فثبـت بالمنهج الاخلاقى ضرورة اثبات وجود الله.

واذا حاولنا استنباط هذا المنهج من آيات القرآن الكريم نجد له الكثير مـن النصوص والوقائع ، بل والاحداث التى عرضت المسألة عرضا ممتاز من ذلك.

أ- سفينة المساكين.

قال تعالى ." اما السفينة فكانت لمساكين يعملـون فـى البحـر فـأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يـأخذ كـل سـفينة غصبـا""(١) والبـادى مـن السـياق القرآنى أن عملية الاعابة للسفينة فيها النجاة من الملك الغاصب ، بينمـا البـادى من تصور العقل وحده من غير مساعدة النقل المنزل أن الاعابـة فـى حـد ذاتهـا ضرر ، فإذا تمت الموازنة بين مايبدو مـن القصـص القرآنـى وبـين تصـور العقـل أمكن القول بأن فعل الاعابة كانت له بواعث منها باعث الانجاء من الغصـب ، وباعث المحافظة على مال المساكين"، وهو منهج اخلاقى فى اعلى امكانياته .

" قيل كانت لعشرة اخوة ، خمسة منهـم زَمْنَى ، وخمسـة يعملـون فـى البحر"(٢) ولعل النقل المعصوم قد كشف لنا عن وجهين فى مسألة واحـدة وأن أحدهما كان ينظر الى الأمور مـن خـلال تجـارب الحيـاة وأمـور الطبيعيـة بينمـا الثانى كانت تقوده أمور غيبية وتحكمه قوانين عالية ، توازن بين متطلبات الحياة الطبيعية وبين قدر الله بحيث تخضع فى النهايـة لأوامر عليـا صـادرة عـن خـالق حكيم .

وهو منهج اخلاقى حيث توضع الامور فى نصابها وهنا نلاحـظ أن درء المفسدة ، وهو غصب الملك للسفينة ،وفيـه اضاعـة مـال المسـاكين مقـدم علـى جلب المصلحة وهو صون السفينة عن عيـب الخـرق المؤقـت ، ولاشـك أن درء

---

(١) سورة الكهف الأيه ٧٩

(٢) الكشاف مجلد ٢ صـ ٧٤

المفسدة مقدم على جلب المصلحـة كضـرورة اخلاقيـة ويقـاس عليـه الامـر فـي مسألتين في ذات السورة من نفس القصة القرآنية .

١ -قتل الغلام .

٢ -بناء الجدار .

ب- مسألة الغلام الوحيد

قال تعالى" حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا ذكية بغير نفس لقـد جئت شيئا نكرا "[١] قال صاحب مفـاتيح الغيـب:" ظـاهر الآيـة يـدل علـى أن موسى عليه السلام استبعد أن "تقتل النفس الا لأجل

الخامس : البرهان الاجتماعي.

ومواده أن نظام القبائل والعشائر تتمثل فيه مظاهر خاصة كوحـدة اللقـب المشترك بين أفرادها وهذا اللقب المشترك ربما رسموه على مسـاكنهم ووشموا بـه أنفسهم وصار علما يتميزون به ، من ثم فانهم يعظمون اللقـب المشـترك كرمـز ويعظمون - في ذات الوقت مسماه ، حتى يصل بهم التعظيم الى رسـم صـورة له خاصة ذات اوصاف محددة.

بل ان هذا التقدير لذلـك اللقـب المشـترك ربما وصـل عندهـم الى درجـة التعظيم والتأكيد المؤقت وفي مواسم محددة بحيث تفقد الرؤس الكبرى معه تقديرها الشخصي وتذوب كلها فـي رحـاب تعظيمـه وتأليهـه وتقديسـه حين

---

(١) سورة الكهف الآية ٧٤

يذوبون فيه جميعا، ويكون هو الرمز الذى تذوب فيه الجماعة كلها ، ورغم انـه تصور منحرف الا انه يعطيك صورة دقيقـة للعقـل الجمعى ومـا يكـون عليـه ، ومثله عقيدة قبائل التوتم.

من ثم , فإن هذا المنهـج الاجتمـاعى يقودنـا الى رمـز عـال ، وقـوة عليـا سامية، نخضع لها جميعا, ونشـعر أمامهـا بالاحـترام بحيـث تـذوب رغباتنـا أمـام أوامره جل علاه وتغل شهواتنا بقيد نواهيه، ولايكـون ذلـك الا للخـالق العليـم وبالتالى يصير أمر أثبات وجوده ضرورة اجتماعية:

وفى طبائع الناس رغبة طموح للاتجاه نحو الرمز ، والانقيـاد تحـت الهـدف وانحسار الامانى الصغيرة فـى دائـرة الامـال الكبـار وهـم قـد الفـوا الرغبـة فـى الاحتياج لهذا القائد الاسمى ، ولمسوا من انفسهم اكثر من اتجاه نحوه ، بل انهـم صرفوا انفسهم عن توجيه ذواتهم واسلموها له ، تقليدا ، وانقيادا ، وخضوعا ، وربما ذلة واستكانة ، أو جلالا ومهابة ، وهذا يؤكد ضرورة الايمان بـا لله تعـالى على هذه الناحية .

بيد ان هذا الرمز ان لم يكن هو الاله الاعظم رب العالمين جـل عـلاه فربمـا انقاد الى ماتنطوى عليه نفسه من تنـاقض واختـلاف ، وقـاموا بتقليـده مـن غـير رجوع الى الحق ، او اتجاه نحو الصواب ، والخطأ أنـه لايصلـح للقيـادة السـليمة والتوجيه الاعلى ، ومع هذا خضعوا له وذلوا ، وقد عاب عليهم القـرآن الكريـم هذه الاتجاه .

قال تعالى :" أم آتيناهم كتابا من قبله فهم بـه مستمسـكون بـل قـالوا انـا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون وكذلك مـا أرسـلنا مـن قبلـك

في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا أباءنا على أمة وانا على أثارهم مقتدون"(١)

من ثم فقد بان لنا أن البراهين العقلية دالة على وجود الله تعالى ، وانه ضرورة لاغنى عنها سواء كانت هذه الضرورة عقلية أو نفسية أو اجتماعية او الخلاقية أو غيرها ، كما بان لنا ان الادلة على وجود الله تعالى لاتتوقف ، وانما قائمة متنوعة وتساير ظروف كل عصر ، متى كان الاصل هو النقل المنزل والعقل السليم .

(١) سورة الزخرف - الأيات - ٢١/٢٣

الخـــاتمة

الخاتمة

إذا كان المتواضع عليه بين الباحثين هو أن المقدمه تلخيص للبحث من حيث أبوابه وفصوله ومباحثه ، فان الخاتمة هى تلخيص لنتائج البحث التى سار الباحث فيها خطوات وئيدة تجعل فى بعضها أو تأنى ، وفق فى بعضها أو أخفق، لكنها فى النهاية تلخيص لتلك النتائج يراها الباحث نفسه فيستطيع تقييمها على النحو الذى تتمتع به ملكاته ونحن ههنا سنقدم تلخيصا لأهم تلك النتائج :

١- استمرار السلف الصالح حتى الآن بالوصف وليس بالزمان انما بالفكرة والعقيدة والشريعة والبرهان

٢- أن السلف الصالح فى الماضى كانوا يمثلون صحابة رسول الله - ﷺ - أما فيما بعده فهم يمثلون المتمسكين بسنة رسول الله - ﷺ الملتزمين بشرع دينهم وطريقة نبيهم - ﷺ

٣- ان دعوى السلف لاتقوم وحدها ، وانما لابد من مطابقة الواقع الخارجى لما تفرزه العقيدة الداخلية ، فإذا لم تتوافق فلا شك أن الدعوى تكون بعيدا عن الدليل بحيث يمكن القول بأنه قتال فى غير معركة .

٤- ان السلف الصالح كان لهم على وجود الله - تعالى أدلة نهضت وقتها وأدت عملها ، وما تزال تقنع الملحد وترضى المؤمن ، وتسوق الى جوانب الخير.

٥- ان ادلة السلف تمثل اجمالا تحته جزئيات ، ذلك أن الدليل الفطرى مثلا ينساب فى فطر الأبيض والأسود ، والأحمر والأصفر ، والفقير والغنى ، والحر والعبد ، انها تشيع فى الجنس البشرى كله امتى استجاب لندائه الداخلى الذى تغزوه فطرة الله ، وتغزيه قاعدة الايمان بالله تعالى .

كما أن الدليل القرآنى يقبس منه العلماء كل حسب توفيق الله له واجتهاد صاحبه ، بحيث يرى عالم الكيمياء غير مايراه عالم الجيولوجيا ، ويرى عالم الفلك مالا يراه عالم البحار ، وان كانوا جميعا يتعاضدون لتقديم أدلة على وجود الله - سبحانه وتعالى .

أما الدليل الكونى القرآنى فحدث عنه ولاحرج ، إذ أن هذا الدليل تتسع أجزاؤه حتى تشمل الأرض والسماء ، والغفار والأرض والجرداء ، بل انه ليشمل كافة الكائنات حسب خلق الله لها وهو الأمر الذى عليه سرت ، وإلى مواده تناولت ، وإلى نتائجه توصلت ، فان تكن بى الخطى قد وفقت فمن فضل الله - تعالى - وأن تكن القدم زلت أو القلم نبا فما ذلك الا من عورات النفس البشرية وأرجو الله السلامة فى الدنيا والدين انه سميع قريب مجيب الدعاء آمين .

المصـــادر

مصادر البحث

راعيت في إثبات مصادر هذا البحث أمرين

الأول : أن ترتيبها أبجديا بعد تجريد اسم الشهرة من حرف أل، مع ذكر أشهر المراجع فقط .

الثاني : أن تكون البداية بالقرآن الكريم وعلومه ، ثم بالحديث الشريف وعلومه ، ثم معاجم العربية ، ثم المصادر بشكل عام .

أولا : القرآن الكريم وعلومه

١- القرآن الكريم

٢- الجواهر في تفسير القرآن الكريم ط الحلبي ١٣٥٠ للشيخ طنطاوي جوهري

٣- الاتقان في علوم القرآن للسيوطي

٤- مفردات غريب القرآن للأصفهاني

٥- مقدمة في أصول التفسير ابن تيمة

٦- حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين

٧- الفتوحات الالهية بتوضيح الجلالين للدقائق الخفية

٨- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم

ثانيا : الحديث الشريف وعلومه

٩- مسند الامام احمد بن حنبل

١٠- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف

١١-جامع بيان العلم وفضله - لابن عبد البر

١٢-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبى نعيم - دار الكتب العلمية بيروت

١٣-السنن الكبرى البيهقى دائرة المعارف العثمانية وبهامشه الجواهر النقى

ثالثا : المعاجم العربية والأنساب والتراجم

١٤-القاموس المحيط

١٥-أساس البلاغة

١٦-لسان العرب

١٧-مختار الصحاح

١٨-المعجم الوجيز

١٩-المنجد فى اللغة والاعلام

٢٠-جهرة أنساب العرب

٢١-المنهج لأحمد فى تراجم أصحاب الامام أحمد تحقيق الشيخ محمد محى الدين

رابعا : مصادر عامة

(أ)

ابن تيمية / شيخ الاسلام - احمد بن عبدالحليم

٢٢-رسالة الفرقان بين الحق والباطل - مجموع الرسائل والمسائل

٢٣-الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح ط المدنى .

٢٤-نقض المنطق / ط أنصار السنه / تحقيق محمد بن عبد الرزاق حمزة سنه ١٩٥١

ابن حجر - شيخ الاسلام

٢٥-العقائد السلفية

ابن قيم الجوزية

٢٦-أعلام الموقعين عن رب العالمين

٢٧-مفتاح دار السعادة

٢٨-التبيان فى أقسام القرآن مطبعة حجازى ١٣٥٢هـ

ابن حنبل - شيخ الاسلام الامام أحمد

٢٩-الرد على الجهمية والزنادقة

أبو دقيقة / الأستاذ الشيخ محمود

٣٠-القول السديد فى علم التوحيد - تحقيق وتعليق فضيلة الأستاذ الدكتور / عوض الله جاد حجازى / ط مجمع البحوث الاسلامية سنه ١٩٩١

الأشعرى - شيخ الاسلام أبو الحسن

٣١-اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع تحقيق د/ حمودة غرابة مجمع البحوث ١٩٧٥

(ج)

الجاحظ

٣٢- رسائل الجاحظ تحقق عبدالسلام هارون ط القاهرة ١٩٦٤

الجليند - الدكتور / محمد السيد

٣٣-قضية الخير والشر فى الفكر الاسلامى ط الحلبى ١٩٦٤

٢٤-ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٣هـ

(ح)

حجازى - الأستاذ الدكتور/ عوض الله جاد

٢٥-دراسات فى العقيدة الاسلامية دار الطباعة المحمدية أولى ١٤١٣/١٩٩٢م

الحوينى / فضيلة الأستاذ الدكتور/ حسن محرم

٢٦- المنهج فى اثبات الصانع بين السلفية والمتكلمين / دار الطباعة المحمدية سنه ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٦ م

حلمى / الدكتور مصطفى

٢٧-قواعد المنهج السلفى / طبعة دار الأنصار سنه ١٩٧٦م / ١٣٩٦ هـ

(د)

دراز - الأستاذ الدكتور/ محمد عبدالله

٢٨-الدين بحوث ممهدة

الرازى - الامام فخر الدين

٣٩-المطالب العالية تحقيق د/احمد حجازى السقا ١٤٠٣هـ

٤٠-عجائب القرآن تحقيق عبدالقادر حمد عطاط دار الكتب الاسلامية

(س)

السهروردى / الامام شهاب الدين ٦٣٢ هـ

٤١-عوارف المعارف / هامش احياء علوم الدين / المطبعة اليمنية

(ش)

الشهرستانى / الامام عبدالكريم بن ابى بكر احمد

٤٢-نهاية الاقدام فى علم الكلام

شلبى - الأستاذ الدكتور / رؤوف

٤٣-منهج القرآن الكريم فى اثبات العقيدة الاسلامية - ط أولى / مكتبة الأزهر

الشعراوى / الامام الداعية الشيخ /محمد متولى

٤٤-الأدلة المادية على وجود الله / الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنه ١٩٩١

(ط)

الطويل - الدكتور/ توفيق

٤٥-المشكلة الخلقية ط دار النهضة المصرية ١٩٦٧

(ع)

العقاد / الأستاذ / عباس محمود

٤٦-الله كتاب فى نشأة العقيدة الالهية ط دار المعارف الطبعة الخامسة

عبده / الأستاذ الامام محمد

٤٧-رسالة التوحيد / تحقيق الشيخ / رشيد رضا سنة ١٩٦٠ م / ١٣٧١ هـ

(غ)

الغزالى - حجة الاسلام الامام أبوحامد

٤٨-الجام العوام عن علم الكلام / تحقيق رياض مصطفى

غلاب - الأستاذ الدكتور / محمد

٤٩-مشكلة الألوهية - جماعة احياء الفلسفة - ط أولى / الحلبى / سنة ١٩٤٧

الغزالى - الدكتور / محمد حسينى موسى محمد

٥٠-الايمان بالغيب وأثرة على الفكر الاسلامى ط٢ الشروق ١٩٩٦م

٥١-حفيف الأفنان بين الملل والنحل والاديان مطبعة الهدى ١٩٩٦

٥٢-حبو الوليد فى علم التوحيد أولى مطبعه شروق بالزقازيق ١٩٩٦

(ف)

الغولى الأستاذ الدكتور / محمد مصطفى

٥٣-بعض مظاهر التقدم فى العلوم البيولوجية الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٥م

فكرى - الأستاذ / على

٥٤-القرآن ينبوع العلوم والعرفان ط أولى - الحلبى ١٩٤٣

(ق)

القاسمى الأستاذ / الشيخ محمد جمال الدين

٥٥-كتاب دلائل التوحيد - مراجعة محمد حجازى مكتبة الثقافة الدينية

(م)

المغربى - الدكتور / على عبد الفتاح

٥٦-امام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدى وأراؤه الكلامية / مكتبة وهبة طبعة أولى ١٩٨٥

محمود - الأستاذة الدكتورة / فوقية حسين

٥٧-مدخل الى الفكر الاسلامى / مطبعة أخوان رزيق ١٩٨٣

المسير - الاستاذ الدكتور / سيد احمد رمضان

٥٨-الزام القرآن للماديين والمليين / دار الطباعة المحمدية / ط أولى ١٩٧٩

موريسون - الأستاذ / كرسى

٥٩-العلم يدعو للايمان / ترجمة الأستاذ / محمود صالح الفلكى / دار النهضة المصرية سنة ١٩٧٧

(ن)

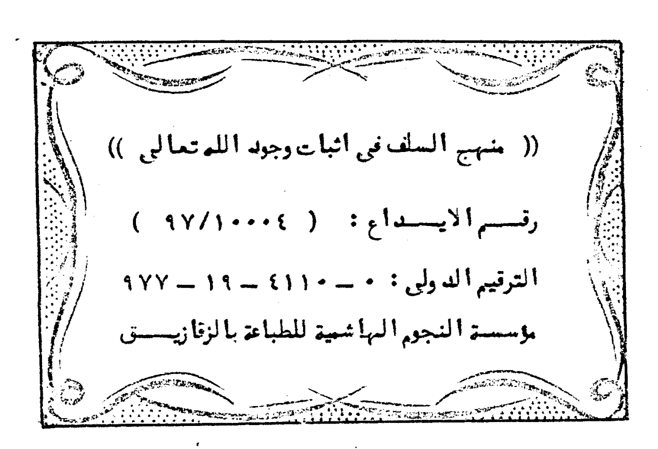
نصار / الأستاذ الدكتور / محمد عبد الستار

٦٠- المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام / مطبعة التقدم الطبعة الأولى ١٩٧٩م

مهلغزالى

الفهـــرس

الفهـــرس


((منهج السلف في اثبات وجود الله تعالى))

رقم الايداع : (٩٧/١٠٠٠٤)

الترقيم الدولي : ٠ ـ ٤١١٠ ـ ١٩ ـ ٩٧٧

مؤسسة النجوم الهاشمية للطباعة بالزقازيق